17 ème Année No. 826 — Lundi — 2 — 5 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٨٣٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ رجب سنة ١٣٦٨ — ٢ مايو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

٢ ـ أمم حـــائرة

طغيان المادة وضعف الروح

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك
وزير مصر المفوض بجـدة

كشف العقل أسرار الطبيعة فاخترع عجائب العلوم والفنون والصناعات ، وغيّر تاريخ البشر كله . واهتدى الناس إلى سنن الحكومات ، ونظم الجماعات ، ضبطت كل شىء بالنظام والقانون . وعرفوا من قوانين الصحة ما عصمهم من كثير من الأوبئة والعلل ، وافتنوا فى عمران البلاد ، وتعبيد الطرق ، وتشييد المساكن ، وذللوا كل صعب ، وقرّبوا كل بعيد بفنون الهندسة وغيرها . وابتكروا فى الملابس والزينة ما ابتكروا . وتهيأ لهم من أسباب الحضارة ووسائل الرفاهية ما لا يحتاج إلى بيان ، فهو ملء الأسماع والأبصار .

ولكن الأنفس لم تساير العقول ، والرقى الروحى لم يدرك الرقى الحسى ، وليس عجيباً أن يسمو العقل ، ويتسع العلم ، ولا تسمو النفوس ، وأن تتقدم الأفكار ولا تتقدم الأخلاق ، فتصرف العقل أكثره فى أمور خارجة عن نفس الإنسان ، وإدراكه يجول فى عالم الطبيعة . وهو فى بحثه لا يفرّق بين الإنسان وغيره ، ولا يبالى بالخير والشر . فمقاصد العلم تتحقق بكشف الكهرباء — مثلا — وضبط قوانينها وتسخيرها . وسواء بعد هذا استعمال الكهرباء للاضاءة ، أو المداواة ، أو استعمالها للقتل والتدمير .

إلى العلم ترجع الحضارة الصناعية القائمة على قوانين الطبيعة والخارجة عن نفس الإنسان . وأما النفس الإنسانية وملكاتها وحالاتها ونزعاتها ، فأمور وراء هذا كله وهى حقيقة الإنسانية .

وهى التى تدرك الجمال والقبيح ، وتميز بين الخير والشر ، وتقبل على الفضيلة ، وتنفر من الرذيلة .

وهى مناط الأخلاق والعواطف والفضائل والرذائل ، وإلى هؤلاء ترجع الحضارة الإنسانية وما يتصل بها من آداب وسنن وعادات ونحوها .

وبهذه تقدم الإنسانية ، وبها يكون تقدمها الحق وتخلفها وعلوها أو سفولها . ومن أجل أن العلم يتصرف فى قوانين طبيعية خارجة عن نفس الإنسان كانت العلوم غير مختلفة بين الأمم فى قوانينها ، فلا تختلف الرياضة أو الكيمياء بين أمة وأمة ، ولا بين إنسان وإنسان ، إلا بمقدار ما تزيد أمة من أمة ، أو فرد عن فرد ، فى الإحاطة بقوانين الرياضة أو الكيمياء . وبهذا كان نقل علم من أمة إلى أخرى يسيراً لا إعضال فيه .

وأما الحضارة الإنسانية ، فهى مختلفة باختلاف الأمم والأفراد يعسر أن تنقل من أمة إلى أخرى ، إذ هى متصلة بصميم النفس ،

مرتبطة بالمواطف والأخلاق والتاريخ والآداب . ولكل أمة فى هذا خصائصها ، ولها مزاياها ونقائصها .

ليس هنا مجال الإفاضة فى هذا ، ولكنى أردت أن أشير إشارة عاجلة إلى أن العلم والصناعة لايسايران الآداب والأخلاق كل حين .

وغاية قولى أن الفجوة بين العلم والأخلاق ، ومسافة الخُلف بين العقل والروح من أسباب الاضطراب والقلق ، والضوضاء والصخب والشقاء ، التى تحيط بالإنسان بعد أن سخر الأرض والماء والهواء ، فقد أعطى الإنسان بعقله وعلمه ملكا عظيماً ، وسخّر له العالم ، وانقادت قوى الطبيعة ، ولكنه لم ينل من المعالى الروحية ، والفضائل الإنسانية ما يكافئ هذا الملك ، ويلائم هذا السلطان ، ولم يبلغ من العدل والإحسان والعفة وأخواتها ما يسيّر هذا الملك على شريعة منصفة ، وسنة قويمة ، فكان كمن أوتى ولاية ليس أهلاً لها ، ومن ورث ثروة لا يحسن تدبيرها . ومن أعطى سلطاناً تصرف فيه بأهوائه على غير هدى . وكالشرير المسلح بالبنادق والسيارات وما يشبهها مما يمكن له فى الشر ، ويبلغه مقاصده من الأضرار والأفساد .

ألا ترى إلى قوى العقل وقوانين العلم كيف يوجهها العدوان والبغى ، والشره والجشع والضلال والحيرة ، إلى تدمير الحضارة وأهلها

* * *

ولم يكف الأشرار عن الشر على كثرة ما اخترعت الحكومات من وسائل لأخذ المجرمين وتعقبهم ومراقبتهم ، وعلى كثرة ما أقامت من شُرَط وحرس وجيوش ، وما سنت من سنن المحاكمة ، وقوانين العقاب . ذلك بأن كل هذه الوسائل لا تمس النفس ، ولا تصل إلى الوجدان ، وإنما هى قيود وسلاسل ، وأخذ وضبط ، وسجن للأجسام ، ولو أن ارتقاء النفس الإنسانية كان على قدر افتنان البشر فى وسائل السيطرة والأخذ والعقاب ما احتاج البشر إلى هذه الوسائل ، أو لاستغنوا عن معظمها ، ولو أنصف الناس استراح القاضى .

* * *

ومن آثار هذا التباعد بين العلوم والأخلاق ، والتفاوت بين العقول والأنفس أن سلك الناس إلى المال والجاه والشهوات مسالك شتى ، وافتنوا فى التوسل إليها بما عرّفهم العلم ورضوا فى سبيلها بالدنايا ، ولم يقفوا فى ابتغائها عند حد .

كلٌ طامع جاهد مستزيد ، لا يرضى ولا يقنع ولا يعف ، ولا يقول هذا حسبى ، وهذا حق ، وهذا حق غيرى ، وهذا حلال ، وهذا حرام ، وهذا شريف ، وذاك خسيس « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وقليل ما هم » .

وضاع الحياء ، وفقدت المروءة ... ألا ترى بعض التجار يجذبون المشترين بنساء فاتنات يكلون إليهن البيع ، أو قبض الأثمان ، ومنهم من يدعو إلى بضاعته فى الصحف بصور مغرية ، ولو كان امرأة فى حمّام ، كما يفعل بعض تجار الصابون ، ويعينهم على هذه الدنايا أصحاب الصحف ابتغاء الربح أيضاً !

ألا ترى الصحف والجرائد والمجلات ، إلا النادر ، تستهوى الناس بنساء عاريات ، وصور مفسدات ، وقصص موبقات ؟ !

أليس معنى هذا ، حين تسمى الأشياء بأسمائها ، ويكشف عنها تمويهها ، أن ناشر هذه الصور يتوسل إلى الرواج بأن يجذب الناس — بكل وسيلة — غير مبال بالأخلاق والأعراض ، يستوى عنده الصلاح والفساد !

رحم الله من قال : « تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها » !

ومن قال :

ولقد أبيت على الطّوى وأظلّه حتى أنال به كريم المأكل !

* * *

غلبت الناس المادة ، وضعفت فيهم الروح ، فجهادهم ونزاعهم وصياحهم وضوضاؤهم فى المادة ولها إلا قليلا . بل هذه الشيوعية التى فتن بها بعض الناس وحسبوها مثلا عالياً ، أو المثل الأعلى فى التسوية بين الناس ، هى مادية خالصة تنكر كل شىء إلا الخبز ، فهى كالمساواة بين القطيع فى المرعى ، وليس للقطيع اختيار فى المسير أو الوقوف ، وليس له حق فى غير الكلأ والماء

فأما التدين والسمو الروحى والحرية والفضائل والأواصر الرحيمة التى تربط بين الوالدين والأولاد ، وكل ما هو بسبب من هذه ، فتنكره الشيوعية ، لأنها دين وُلد فى هذا العصر ، وهذا العصر يعرف المادة ، ويحرص عليها ، ويخضع لها ، ويموت فيها !

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

قطــــرات ندي

للأستاذ راجي الراعي

* القبلة بنت الحب اقترن بالجمال فولدها .
* الرماد نار شابت .
* اليوم بيت من الشعر في ملحمة الخالق ، صدره ما سبق الظهيرة ، وعجزه ما تلاها ، والغروب هو القافية .
* الحصاة حجر يذوب هياماً بالماء .
* العقل جنون هادئ .
* في القمة شيء يقول لك : قم .
* الاحتضار غبش الموت !
* الغفران هبة .
* القُبَل لهث الحب وأنفاس النفس .
* القبلة كتاب النفس في كلمة ، أو كلها في حرف .
* كم من يد رسمت في باطنها خطوط الإجرام ، ولا معصم لها يعصمها من المنكر .
* إنك لا تستطيع أن تلد الرائعة إذا لم يختل توازنك . . ألا ترى المرأة كيف تمزق أحشاؤها لتلد جنينها .
* هي نوره منذ البدء إن الله جل جلاله حين قال : (ليكن النور) ، ثار على الظلمة .
* أذيبوا أثمن درركم في الكأس إذا قمتم تشربون نخب الله .
* الغمد عقل السيف .
* السيف لسان القوة .
* الموجة شهوة البحر .
* الصرخة رداء يتمزق ، أو جدار ينشق في الصدر .
* الصدور ألواح العرش الذي يتربع عليه الموت .
* الرماد ثورة سكنت ، أو جنون صحا ، أو جريمة ندمت ، أو فجور تاب ...
* كلما قرأت الشعر عجبت للخيال الحر يرضى بقيود الوزن والقافية ... أتسميها تلك التي هبطت عليك من سمائك صاعقة ، ثم تأتيني بالطويل والمديد ... ما هذا المارد الجبار الذي رميت به بين ، فعولن ، ومستفعلن ، وفعلن ، ومفاعلن ، فألبسته ثوب القزم ، وذهبت بنصف ما فيه إرضاء (للخليل) وقوافيه ؟ .
* إذا تعريت من الدنيا لبست الله .
* أنا بين تواضع السهل وكبرياء الجبل حائر لا أدري ما أفعل برأسي أأرفعه أم أحنيه . . .
* الكلم ، والسطور ، والألحان ، والألوان محاولات للتعبير عما في النفس .
* ساءلك واحد من ألسنة رأسك انفلت من بينها ولجأ إلى فك فآواه .
* الموت هبة تسترد .
* الجسر بسطة ذراع وأداة صلح وتسوية .
* الذئبة التي أرضعت مؤسس روما ، تحت شراسة الذئاب منذ كان الذئب .
* الأعمى عينه مقلوبة تنظر إلى الداخل .
* أنت الصخرة البطل ، إذا انزلقت عنك الحياة فلم تأبه لها ولم تنل منك .
* التوبة يدان : يد تمحو ، ويد تكتب .
* بين الأوراق والثمار ، ما بين الأصداف والجواهر .
* الصبر حفار يحفر في الصدور لحوداً .
* الجبين الذي ترجفه الفكرة الجريئة جبين جبان .
* بيت الصلاة هو البيت ، وما سواه من البيوت ، حجر وطين .
* الانطلاق طلاق بين طموحك ووهمك .
* المومياءت نساء عاصيات ساخرات يضحكن على الموت .
* نولد في العاصفة ، عاصفة الهوى . . . ونقيم في العاصفة ، عاصفة الحياة . . . ونرحل في العاصفة ، عاصفة الفناء ، فكيف يرجى أن نكون عقلاء إذا كان العقل ذاك الذي نلبسه ثوب الهدوء والسكينة ؟ أين وكان العقل هذا في قلب تلك العواصف ؟ ؟ .
* الظل تعاسة تتذكر أنها كانت شعاعاً .
* كلما رأيت تمثالا شعرت بالموت يقف منتصباً

* السيارات حول الشمس وصائفها .

* إن الأرواح لا تندغم فبين قبلتين مشتعلتين تجد داعياً قليلا من الرماد .

* من الناس من حشر فى الخليقة حشراً كحروف الكلمات التى لا تلفظ .

* الصلاة هدير بحر الإيمان والمرساة التى تقف بها سفنكم فى مرفأ الخالق .

* فى كل طية من طيات القدر مستقبل محجوب .

* الجبال عناد الطبيعة ، والسماء خلقها الدمث .

* لقد تقاسمت الأمجاد القمم فلكل مجد قمة .

* أزهار الشجرة أحلامها تتحقق فى الثمار .

* ظل الشجرة شفقتها .

* الصحراء كف مبسوطة تستجدى الماء .

* الأعماق آفاق مطوية .

* الدخان والرماد يتقاسمان النار ، فهى لا تملك نفسها .

* الكسل يحتضن الحلم .

* لو خيرت لاخترت أن أنسل من شمس إلى أخرى .

* نحن دقائق هذا الغبار الذى يقال له : الزمن .

* لو كنت الفتنة لاتخذت مقامى بين الحياة والموت .

* أنت مهما تضخمت جثتك وطالت قامتك طفل على سريرين تهزهما الأم والمنون .

* إذا أغضبت البحر أتاك بزبده وغرقاه ، فإذا استهنت به أخرج لك من قلبه الدرر .

* الحمد لله الذى خلق الجفنين ليطبقا على وقاحة العين وشرودها والشفتين لتطبقا على الثرثرة .

* النعمة بنت الحشرجة ! .

* السم لعاب الإثم .

* الثرثرة ما تطفح به الكأس .

* النور : نار ساكنة هادئة وادعة ، والنار نور ثائر .

* الذكرى ريح تعصف فى الظلام ... ورقاد يفرك جفنيه ... ونسيان ينسى نفسه ...

* الأقدار قدرة القادر .

* الأمل فم يلثم جبين الند .

* أرى فى الحياة شيئاً يهزأ بك مهما أتيت بالمدهشات .

* القوى النفسية تتجاذب قمة الرأس فى صراع هائل مستديم .

* كلما فشلت انقصف فى غصن من شجرتى العاتية .

* الله فى شغاف قلبك وعصب عينك فحذار ! .

* إذا انبطح الجبل انقلب سهلا .

* تتساقط على الشموس كأنها تحاول أن تدنى إلى أمر أو تدنى عنه .

* الحجر يقول للجدار : لولاى لم تكن . . . والجدار يقول للحجر : لولاى لم تلق وسادة تلقى عليها رأسك ... الخمرة تقول للكأس : لولاى لم تنعم بك شفة والكأس تقول لها : لولاى لذهبت هدراً ...

* لو لم تكن حياتكم ليلا لما تقتم إلى النور ، ولعل الخالق أطلقها ظلمات تتبعها ظلمات لكى تنطلق فى صدوركم شعلة الإيمان فلو كنتم تسبحون فى بحور من نور لألفتموه ولم تفكروا فى الخالق ، ولو كنتم فى النعيم وأشجاره وأنهاره لما خطرت لكم جنة الخلد ولو كان فى دموعكم ندى الفجر لما حسبتم للفجر حساباً .

* ما رأيت غازياً كالوهم يغزو الناس جيلا بعد جيل .. إن له سيفاً يشق كثافة الدهور كأن السيوف كلها مندغمة فيه فهو السيف ولا سيف بعده . .

* المثال الكبير سباح بحره الدنيا يعيش فى الموجة ومن أجلها .

* ليس لك أن تستصغر الطير والحيوان مادمت تصف الإنسان بالأسد إذا بلغ أقصى شجاعة وبالعقاب إذا بلغ رأس القمة .

* فى الدماغ سراديب يكمن فيها الخبث والدهاء والحيلة ، وقمم شاهقة يتسلسل فيها المجد والشمم ، ومنبسطات تصدو فيها جياد الإرادة ، وبراكين تقذف بالشهوات والأهواء ، وآفاق تحلق فيها نسور الخيال ، وعروش من ذهب يتربع عليها العقل ذو السلطان والصولجان ، وجنات تجرى من تحتها الأنهار ينشد على ضفافها الإحساس أنغامه الشجية ...

* الموت غمامة فى حلق الأمل وشبح يقهقه فى رحم المرأة ..

راجى الراعى

مسرحية «سليمان الحكيم»

للأستاذ توفيق الحكيم

بقلم الدكتور محمد القصاص

— ٢ —

بعد الألاعيب والمفاجآت التي تكلمنا عنها في المقال السابق يرجع سليمان لجأة عن فكرته في استمالة قلب بلقيس إليه بعد أن أمعن في تعذيبها والسخرية منها حتى في أشد ساعات محنتها ؛ فيتوب إلى الله ويخلو إلى تأنيب ضميره اللاذع وجحيم شعوره بسقطته ، كما تعدل بلقيس عن « البصبصة » لمنذر وتبارك زواجه من شهباء حبيبته ، ثم تغفر لسليمان زلته وتبالغ في الغفران ، وتعزيه في محنته حتى لكأنها تهنئه على أن هيأت له « الأقدار » هذه الفرصة السعيدة لتطهره من الأدران . أو ليست هي التي تجيبه وهو يأسى على ما وقع منه : « من هذه الأخطاء تبرز أحياناً بصائرنا متفتحة ... كما تتفتح الأزهار النابتة في الأوحال » . ا

وهكذا يستقر كل أمر في نصابه : فقد أرغمت القوة الخفية سليمان إرغاماً على حب بلقيس ، وأرغمت بلقيس إرغاماً على ألا تبادل سليمان حباً بحب ، وكذلك الحال بالنسبة لبلقيس ومنذر سواء بسواء . ومن ذلك يعرف العاشقان غير المشوقين « إن الحب قدر صارم يضرب ضربته حيث يريد هو لا حيث نريد نحن » . فتهدأ نفساهما ، ويندمان على أن لم يعرفاه منذ البداية ، ويباركان السماء أن جعلت الأشياء على ما هي عليه ، « إذ لا ينبغي أن نكره هذا كثيراً ... يجب أن تكون فينا زهرة لم ترو ، وجوع لم يشبع ، ورغبة لم تنل ، وصيحة لم تسمع ... بهذا نستطيع أن نكون جديرين حقاً بالحكمة والتمييز ، خليقين بفهم القلب الإنساني وغاطبته ، قادرين على أن نحمل إليه العزاء ورسالات السماء . » والغريب بعد هذا الكشف العجيب ، كشف أن كل ما كان قد كان لغاية ، بل لخير الغايات على حد تعبير فلتير متهكما على لسان بنجلس Pangloss (وإن كان ذلك قول يتنافى مع فكرة الأستاذ الحكيم الأساسية) تقول الغريب بعد هذا أن يستمر سليمان في حزنه وندمه حتى يقضى الحزن والندم على حياته . ولكن لعل ذلك من فعل « القوة الخفية » لغاية في نفسها أيضاً .

هذه هي الفكرة التي هدف المؤلف إلى إبرازها في كتابه ، وتلك طريقة عرضها . وقد رأينا أنها لا ترفع من قدر الإنسان ، وأن عرض الكاتب لها لا يرفع من قدرها في حد ذاتها ، بل يبرزها مشحونة بالمتناقض وبالتافه وما لا يفهم . وإلا فكيف نلمس في حب سليمان لبلقيس وإعراض بلقيس عن مبادلته حباً بحب أثراً لقوة خفية دفعتهما إليه ؟ ألا يكون أقرب إلى المنطق أن نرى في رفض بلقيس أن « تنزل » عن حبها لمنذر « لتبيعه » إلى سليمان أثراً لفرديتها المستقلة عن فردية سليمان ، وبرهاناً على حريتها التي هي غير حرية سليمان ؟ عندئذ تصير المسألة صراعاً بين حرية وحرية ، بين ميول وعواطف وظروف من جهة وميول وعواطف وظروف من جهة أخرى ، بين نفس تعيش في زمان ومكان معينين ونفس أخرى تعيش في زمان ومكان معينين أيضاً اللهم إلا إذا كان الأستاذ يشترط في حرية الإنسان ليعترف بها أن تكون شيئاً منفصلا عن مقومات شخصيته كل الانفصال ، شيئاً يدبر الإنسان من خارجه على نحو ما رأى في القوة الخفية . أو إذا كان يرى أن الحرية في الحب ، بل وفي غير الحب ، يجب أن يتمتع بها طرف دون الآخر . فما دام سليمان قد أحب بلقيس فما عليها إلا أن تتبعه كالعجماء يلوح لها بحزمة البرسيم ، بل كالحجر يلقى به من حالق دون حرية ودون شعور . وما دامت بلقيس قد أحبت منذراً فما على منذر إلا أن يلغى حريته وكل ما يكون شخصه المعنوى ليبادل بلقيس حباً بحب وهياماً بهيام . إن كان ذلك ما يريد الأستاذ الحكيم ، فإنه يحمل الحرية ما لا تطيق ويعرفها تعريفاً لم يعرفه لها أحد من قبله ، فتمنى لبنى الإنسان أو لبعض بنى الإنسان حرية الآلهة لا حرية البشر ليخرج بهم من حدود البشرية إلى ملكوت الألوهية . وإلا لم يعترف بأن لبنى الإنسان حرية . تذكرني هذه النظرة في فهم الحرية بفكرة ساذجة عن الحرية أيضاً يلقنها سارتر Sartre لإحدى أبطاله لينقضها ويسخر منها . وكانت هذه الفتاة قد تآمرت مع أخيها على قتل أمها لسبب ما ، فقتلاها . ولكن الفتاة بعد الحادث وقعت فريسة للندم ، وصمد الفتى للضربة لأنه قبلها بحريته ، فيقول لأخته لينتشلها من براثن الندم : « أنا حر يا إلكترا .

لقد انقضت على الحرية انقضاض الصاعقة ». وتجيبه الفتاة : حرا! أما أنا فلست أشعر بأى حرية . أتستطيع أن تعيد ما كان وكأنه لم يكن ؟ لقد وقع منا ما وقع ولسنا أحراراً فى أن نرجعه إلى ما كان قبل أن يقع . أتستطيع أن تمنعنا من أن نكون قاتلى أمنا إلى الأبد؟ فيرد عليها أورست قائلا : «أوتظنين أني أريد منعه ؟ إنه فعلى أنا ، وسأحمله على كتفى إلى الأبد » . أجل إن حرية الإنسان محدودة بحد الإنسان ، حرية غير تجريدية ، بل متصلة بتفكيره وعواطفه وشهواته وكل ما هو من شخصه ، ولكنها الحرية على كل حال . ولا يجوز فى حكم العقل أن يدفعنا ما لها من صفة نسبية ، من صفة الإنسانية إلى إنكار وجودها كما فعل مؤلفنا الكريم .

ربما رأى القارئ أننا أسرفنا بعض الشيء فى عرض فكرة الأستاذ الحكيم وشرحها ونقدها . ولكننا إن فعلنا ذلك فلأننا نعتقد أن الفكرة فى العمل الأدبى يجب أن تحتل المكان الأول لأن الكاتب إذ يكتب ، لأن الكاتب إذا راح يجمع الكلمات فى جمل يتوخى أن تكون واضحة مفهومة فلا بد أن أمراً غريباً عن مجرد الكتابة لذات الكتابة قد ساقه إليها ، ذلك هو عزمه على أن يبلغ النتائج التى وصل إليها بذهنه إلى الآخرين . فإذا فعل ذلك دون أن يكون لديه شيء يقوله فقد فعل ما فعل فى الفراغ ، وأظن ذلك مما يجب أن تتنزه عنه أعمال العقلاء . وقد قلنا فى مقال سابق إن إقصاء التفكير عن المسرح إفراغ له من مادته الأساسية وإزال لقدره وحط من كرامته . كما نرى أنه من أجل أعمال الناقد أن يتتبع فى العمل الأدبى نظرة الكاتب إلى العالم والحياة والناس ، سواء أ كانت هذه النظرة شعورية أو غير شعورية ، ويحررها وينتقدها ويقومها . لأنه إذا كان من أهم وظائف الأدب ، كما يقول أندريه جيد . أن يضيف إلى المعرفة الإنسانية أرضين جديدة (فى الميادين النفسية مثلا) ، أرضين يتعسر الوصول إليها بطرائق أخرى غير طرائق الأدب فإن من وظيفة النقد أن يقوم هذه الأرضين ليجعلها صالحة للاستغلال ، ويسهل للانسان السيادة عليها . وفى اعتبارنا أن الأستاذ توفيق الحكيم جدير بهذا النقد الجدى ، جدير به وإن لم نرض عن أفكاره فى رواية سليمان الحكيم التى ندرسها هذا العام مع طلبة الفلسفة بكلية الآداب . هذا إلى أن هذه الفكرة كان لها أثرها الفعال على فن الرواية نفسه كما سنبين فيما بعد . أما الآن فنود أن نشير إشارة عاجلة إلى الباعث الذى يجنح بالمؤلف إلى اختيار مثل هذه المواضيع مادة لمسرحه ، وأن ندلى بوجهة نظرنا فيه .

يرى الأستاذ ويصرح بهذا الرأى فى مقدمة مسرحيته : « أوديب الملك » بأن الدين كان أساس التراجيديا عند الإغريق القدماء فيقول: « أساس التراجيديا الحقيقية فى نظرى هو إحساس الإنسان أنه ليس وحده فى الكون ، وهذا ما أعبر عنه بعبارة الشعور الدينى ... مهما كان شكل التمثيلية وإطارها وأسلوبها والأثر الذى تحدثه فى النفس فإن هذا كله لا يسوغ فى رأيى وصفها بالتراجيديا ما دامت لا تقوم على هذا الشعور الدينى » . وهذا كلام لا نرتاب فى صدقه ونقائه . فموضوع التراجيديا عند إسخيلوس وسوفوكل مثلا مأخوذة من عبادة الشعب بطريق مباشر . وكانت تمثل أمام شعب مجتمع متجانس يرى فى آلهته الآلهة الحقيقيين ، وفى أبطاله الأبطال الحقيقيين ، وكلهم أبلوا فى حماية الوطن وإعلاء كلمته . فتعرض على الشعب أعمالهم الجليلة ومناصر بطولتهم وكلها معروفة من الجميع ، حية فى نفوس الجميع . تعرض هذه الأفعال العالية والبطولة النادرة ، وتعرض مهاجر أتم الأسلاف ونكباتهم ، أولئك الأسلاف الذين يرزحون تحت سطوة القدر القاسى : فمن خرافة بروميثيوس إله النار التى يخدع الآلهة فتقضى عليه الآلهة بأن يظل طول الأبدية مشدوداً إلى صخرة وقد جثم عليه نسر عات ينخر كبده دون أن يخفف عنه العذاب أو يقضى عليه فيموت ، إلى الملحمة التى انتهت بهدم طروادة وما تخللها من أعمال البطولة التى تعلو على طوق الإنسان ، إلى سلسلة المآسى الفاجعة التى ترتبت ترتباً حتمياً على مأدبة أترية المشؤومة حتى انتهت بمجافة أورست المروعة ، إلى الانتصار المليني على العدوان الفارسى ، ذلك الانتصار الذى كانت ذكراه تلهب قلب كل يونانى بالحماس . فكلها موضوعات شعبية دينية ليس منها واحد فقط لا يمتزج امتزاجاً بروح كل فرد فى الشعب وبأخفى خفايا نفسه . وقد دعى شعراء التراجيديا للاحتفال بها أى إلى الاحتفال بروح الشعب المشترك وإيمانه المشترك فى وقار ، بل فى أسمى ما يكون الوقار . دعى الشعراء التراجيديون لتقديم أعمالهم من هذه الموضوعات ، وكان على الشعب أن يتفانى فى تكريم من كان منهم أهلا للتكريم ، أعنى من استطاع خيراً ممن عداه أن يثير فى نفسه (نفس الشعب) الانفعال الذى كان ينتظره من بروميثى وأجاممنون وأوديب وأورست بعد أن تقمصهم أمامه أشخاص أحياء بضع ساعات من نهار .

(البحث بقية) محمد القصاص

دكتوراه الدولة فى الآداب من جامعة باريس

القيم الروحية بين العلم والمادة (*)

للأستاذ واصــف البارودي

الإنسان مجموعة متناقضات ؛ لذلك تراه متناقضاً في طبعه وفطرته . فهو صادق كاذب ، وكريم بخيل ، وشجاع جبان ... الخ ولا تجد صفة من هذه الصفات متلبسة بلباس الفضيلة والرذيلة حتى ترى إمكان تلبسها بالكساء الآخر . فالصدق أبو الفضائل ، والكذب أم الرذائل ؛ ومع ذلك ألا تجد الصدق رذيلة في النميمة ونقيصة في الغيبة ؟ ... ثم ألا تعتبر بعض مظاهر من الكذب ، في إصلاح ذات البين مثلا ، فضيلة تدعو إليها ؟ ... وهل في العالم إنسان يعتبر البخل فيما تستلزمه الكرامة الإنسانية ، وفيما تقتضيه واجبات المحافظة على الوطن رذيلة ما ؟ وهل في السماح بأرض الوطن فضيلة ترتاح لها النفوس ؟ ... مثلا . فأين الفضيلة ؟ وأين الرذيلة إذن ؟ ... أهما مستقران في الألفاظ ؟ أم هما من المعاني المنبثقة من صميم النفس بحسب إشعاع روح المجتمع فيها بأمر من الخالق المدبر ، وبحكمته ؟ ...

المطلق هو الله وحده ، وكل ما يصدر عن هذا الكون نسبي لأنه خاضع ، بحسب تكوينه ، للتطور والتحول ، بحكم مطاوعته لفعل المؤثرات في الخارج ، وبحكم استجابته لأحكام التفاعل التكويني المستمر في داخله . فلا غرابة إذا تجاذبته المتناقضات ، ولا عجب إذا اشترط تحققه الإنساني بتحقيق التوازن بين تلك المتناقضات ، وبتركيزها ! ...

لكل كائن خصائصه التي يتميز بها ، ويعرف . وخصائص الإنسان إنما تتجلى بمظاهر إنسانيته . وهذه لا تبرز إلا بتحقق الإرادة والحرية . وبقدر ما يتنازل الإنسان عن إرادته وحريته ، يتنازل ، في الحقيقة ، عن إنسانيته . ولذلك كانت الحياة البشرية في الأفراد والمجتمعات ، كفاحاً مستمراً بين عزة الحرية ومنعة الإرادة ، وبين ذل الجبرية واستسلامها . فالجبرية ضعف وجمود ، والحرية قوة وتجدد . وهاتان العقيدتان المتناقضتان تلخصان ، في الحقيقة ، تاريخ البشرية منذ وجد الإنسان .

فمنذ تعرف الإنسان بهذا الكون المادي فكر بالسيطرة عليه وكان التوفيق حليفه في جميع الأدوار . غير أن المادة لم تكن تحجم عن الانتقام منه كلما وجدت لذلك سبيلا ، ومظاهر انتقامها أبرز ما يكون في سوقه إلى جبريتها ، والجبرية هي الصفة اللازمة للمادة ، ووسيلتها في الإنسان جسمه ، إذ الحرية صفة تلازم الأرواح ، والإرادة مظاهر سام لها ؛ ولا تكاد المادة تسوق الإنسان لجبريتها حتى ينقاد لهواه ويمحق إرادته . ومنشأ الهوى فؤاد هدام ، وسريرة مظلمة . وفي ظلام الفؤاد والسريرة تتناثر الفكرات السامية وتلتحق بالعدم ، فلا يكون لها أي تأثير في توجيه الإنسان ، أو في تحقيق إنسانيته ؛ فيعيش حيواناً يدعي أنه إنسان ناطق .

الإنسان مجموعة متناقضات ، وبقدر تقدمه في الحضارة تزداد مظاهر التناقض في نفسه . ولا تتجلى إنسانيته إلا في إيجاد التوازن بين تلك المتناقضات وفي تركيزها ، على ما سبق وألمعنا إليه . وهذه هي الحكمة التي تقضي بوضع كل شيء في محله ؛ وبهذا تتكون حقيقة الفضائل وتتفاعل عناصرها . قال أحد الفلاسفة : « ليست الفلسفة إدراكاً وتأملا وحسب ، وإنما هي حكمة » .

المادة والعلم :

من مظاهر التناقض في نفس الإنسان تعلقه بحقائق العلم ومستلزماته ، وحرصه على مقومات الجسم والتنعم بملذاته . فالعلم والمادة متناقضان بحسب الظاهر ، ولكنهما في الحقيقة ، وسيلتان تصلحان لرفع مستوى الإنسان بتحقيق إنسانيته الفردية والاجتماعية ، إذا أحسن التصرف ، وعرف حدود كل منهما ، وكان لبقاً في استخدامه . والخير ، وكل الخير ، يستقر فيهما معاً ما داما يستعملان أداة أو وسيلة ؛ ومتى أصبح أحدهما غاية للإنسان في حياته ، تبدأ الشرور .

فالمال ، مثلا ، مع فوائده الجمة يقوم عثرة في سبيل التقدم متى حصل اضطراب في نظام جمعه وتوزيعه ، فيصبح بعيداً عما تقتضيه الحياة الاقتصادية والحياة الإنسانية من رقي . ويكون مظاهر الاضطراب المادي في أمور ثلاثة هي :

(*) ملخص الحديث الذي ألقي في الجامعة الأمريكية في القاهرة يوم الخميس في ٣١ مارس سنة ١٩٤٩

١ — تعقيم المال : وهو الرغبة فى جمعه وكنزه فى الأرض ، أو فى الصناديق ، فيصبح عقيما ، إذ لا ينتج أعمالا ، ولا يساعد على تحقيق أى مشروع .

٢ — تحكم الآلة : والآلة إذا تحكمت بالإنسان تحوله لآلة . ولا نخشى هنا من أن تصبح وسيلة لكثرة العاطلين عن العمل ، وحسب ؛ وإنما نخشى أن تنقلب نفسية الإنسان وروحه لنوع من الآلية فيفقد بذلك إنسانيته . وتدارك هذا الخطر إنما يكون بالتربية وبتبديل أنظمة العمل وتثقيف العمال .

٣ — اتخاذ المادة معياراً للقيم . ومتى اتخذ المادة معياراً للقيم انجذبت إليها النفوس فتتأثر بخصائصها المميزة لها ، وأهمها الجبرية فيعتقد الإنسان بأن مساق جبر حسب النواميس التى تساق بها المادة نفسها . وهنا يكمن الخطر .

وأما العلم فإنه يظهر لأول بادرة أنه يتعلق بالنفس لتعلقه بالمعرفة . وهو من حيث الغرض متعلق بالمادة نفسه ، لأنه وسيلة التحكم بها مبدئياً . ويخشى عند ما يتعلق العلم بالمادة تعلقاً شديداً أن يكتسب منها صفة الجبرية ، فيقول بها ، كما ظهر لنا من أقوال كثير من العلماء ، ولا سيما فى عصور الانحطاط . وقد ظهرت بوادر هذه العقيدة عند الكثيرين من علماء عصرنا هذا ، فكانت دليلاً على ظهور أمارات الانحطاط فى مؤسساته العلمية والاجتماعية ، وأخذت الحضارة تنذر بالانهيار .

قال مونتانى : « من الجرأة الغريبة أن يرفع إنسان نظره أمام العلم » فأجابه هنرى ماربون مؤخراً قائلاً : إننا نحترم العلم ونخضع له ، ولكن هل يقضى علينا ذلك باحترام العلماء أصحاب النظرات التصاعدية التى تتصل بالأوهام والسخف ، وبالخضوع للعالم الذى يتخذ علمه وسيلة لاقتناص المادة والمناصب ، ولخداع الناس ؟..

أننا نعرف كثيراً من الحوادث التى اتخذ بها العلم وسيلة لتحقيق مآرب خاصة ، واقتناص فوائد مادية ، دجلاً وتزييفاً ، ومن قبل أناس مشهود لهم بالعلم والثقافة ، وكانوا ، فى الحقيقة ، على شئ من العلم والمعرفة . ولا يندر أن نجد متفقين يقولون ما لا يفعلون ، نفاقاً ورياء ؛ فهم يتخذون المعرفة والمبادئ وسائل رخيصة فى سبيل تحقيق ما تميل إليه أهواؤهم ، وأشباع جشعهم وأطماعهم .

القيم :

العلم ، بذاته ، لا يعرف الخير ولا الشر . والمادة بذاتها ، لا تعرف الخير ولا الشر . وكل شر أو خير يتأتى عن العلم أو المادة ، إنما يكون منشأه الإنسان . فالخير والشر كامنان فى نفس الإنسان وحده ، وفى روحه ... ومن هنا نستطيع أن ندرك أهمية القيم .

يقول الشاعر :

قيمة الإنسان ما يحسنه   أكثر الإنسان منه ، أو أقل

واسمح لنفسى أن أقول : قيمة الأعمال تقدر بنسبة صلتها بروح الإنسان . فالإنسان هو معيار كل شئ ، حسب تعبير بروتاغوروس لا العلم ولا المادة ، ولا العمل نفسه .

القيم الروحية :

القيم تتصل بالأعمال التى يقوم بها الإنسان . فكل عمل نقوم به ، إنما يقدر ببواعثه . فإذا كان منشأه الهوى ، أى الفؤاد الهائم المظلم ، أو بتعبير آخر : النفس الأمارة بالسوء ، فلا تكون له أية قيمة إنسانية ، لأنه فى هذه الحالة يكون فعلاً مجبراً .

وليس للأعمال الإنسانية قيمة صحيحة إلا إذا صدرت عن الإرادة المتحققة فى الحرية . فصلة الأعمال والسلوك بروح الإنسان أى بإنسانيته ، هى التى تهبها قيمة ما . والروح لا تكون روحاً إلا بالإرادة والحرية ، لأن الروح ، فى حقيقتها ، حياة وحركة وتقدم وثورة .

وتقدر قيمة الأعمال بالبواعث . فإذا كانت البواعث أموراً خارجة عن الروح ، أو بتعبير آخر : إذا لم تكن منبثقة عن الفعالية الروحية ، فلا يكون للعمل قيمة روحية ، وإنما تنسب قيمته إلى الباعث الذى أدى لوجوده . فإن كان كسب المال ، مثلا ، فتكون قيمته مادية ، وإن كانت الشهرة ، فهى الزهو والغرور . فما رأيك فيمن يولم وليمة وينفق عليها بسخاء ، ويكون له من ورائها مآرب تجارى ؟ أيصح أن يدعى كريماً ؟ أعتقد أن من ينفق قرشاً على فقير بباعث الشفقة والرحمة ، هو أجدر بالاتصاف بالكرم من ذاك المستثمر . إن صفة الكرم وأمثالها لا تمنح إلا لمن يقوم بهذا العمل بباعث روحى داخلى ، لا لمآرب خارجية .

فالقيم الروحية إنما تقوم بالروح ، بصفة أنها عمل بذاتها ، وبسبب البواعث على العمل . وهذه القيم يسبقها نزوع له مبدأ ، وله غاية ، وبينهما قوة حركية يبعثها الحدس والعاطفة . فإما أن تذهب إلى النفس المظلمة فتنقاد للهوى ، وإما أن تتصل بالفؤاد البناء فتتصل بالإرادة ، فيكون العمل إرادياً حراً ، أى إنسانياً . صور أحدهم من يبذل من ماله دون أن يكون لبذله أية قيمة روحية فقال :

يعطى ويمنع ، لا بخلا ولا كرماً   وإنما نزعات من وساويس

أثر الانفعال والتفكير فى القيم :

ومما يقوى هذه النزعات ، ويبعدها عن نظام القيم الروحية ، الانفعال . والانفعال نسيب الهوى . ولذا يقول علماء النفس : إن الأمم الكثيرة الانفعال قليلة الإنتاج . ألا ترانا نحن فى مؤسساتنا وفى منظماتنا ، كثيراً ما نبدأ بحماس شديد ، وننتهى إلى لا شىء ؟ ونعبر عن ذلك بقولنا : « إننا نفور فورة الحليب » . وهذا ما يتهمنا به الغربيون فيقولون عنا : إنهم يسيطر عليهم الانفعال فلا تخشوهم ؛ ولكن اصبروا عليهم بادىء الأمر ، وسرعان ما يهدأ انفعالهم ، ويسكن فى نفوسهم الحماس .

إننا نحترم الأمم التى تعتمد على التفكير فى سلوكها ، فلم لا نجعل التفكير والتؤدة من مبادىء سلوكنا ، أى من القيم الروحية التى يجب أن تصدر عنها انفعالاتنا النفسية ؟ وهل شيد أسلافنا صروح الحضارة إلا بهذا التفكير ؟ ...

المثلث الخالد :

تتجمع هذه القيم الروحية فى المثلث الخالد ، وهو الحقيقة والجمال والخير . فالحقيقة توافق داخلى بين فعالية الروح وموضوعها . والإنسان بحاجة لمعرفة الحقائق ليحيى إنساناً . ولا يمكن الحصول على الحقيقة إلا إذا تجردنا عن مصالحنا وأهوائنا .

فللحقيقة قواعدها الخاصة ، وهى موجودة فى الكون ، ولكنها موجودة بالقوة ، والإنسان هو الذى يخرجها لحيز الفعل ، فتصبح به كائنة بالفعل . والإنسان الذى أنيط به إخراجها لحيز الفعل يستطيع تزييف هذه الحقائق وقلبها ، ومن هنا يصدر إمكان الدجل والتزوير ، من العلماء أنفسهم .

والفرق بين الحقيقة المجردة والحقيقة المزيفة أن الإنسان يصل للأولى بقدر ما يترك نفسه على سجيتها ، ومتى أراد التزييف بذل جهداً خاصاً . ولذلك تقع التبعة فى تزييف الحقائق على الإنسان وحده ، لأنه يقوم به بمحض إرادته . ولعمرى أنها جريمة من أفظع الجرائم ، سواء أخدع الإنسان بذلك نفسه ، أم خدع الآخرين .

أما الجمال فهو ما يثير فى النفس الانبساط والإعجاب معا . وأقصد بالانبساط معناه اللغوى ، أى امتداد النفس واتساعها ، فيشعر الإنسان أمام أى مظهر من مظاهر الجمال بامتداد فى روحه يجعله يحاول أن يتجاوز نفسه فى السمو .

تصور نفسك أمام أثر فنى رائع ، وأثر معمارى خالد ، أو أنك تقرأ قطعة أدبية فنية ، أو تستمع إلى سيمفونية راقية ، أو أنك أمام غير ذلك من آثار الفنون الجميلة ، فتشعر بذلك التأثير ، إذا كان فى روحك انطلاق . وما ذلك إلا لأن الجمال ، فى حقيقته حر مجرد ؛ والتأثر به إنما يكون نتيجة لفعالية روحية حرة مجردة . فتى اتصل هذا الإحساس بمآرب أو غرض ذهبت روعة الجمال ، وضاعت على الإنسان مسرات سحرة ، فيصبح حيواناً مخربا ، يفسد على الجمال روعته . أو يخسر الجمال قيمته الروحية .

تذوق الجمال استجابة لفيض من القوة الروحية وفعاليتها ، يبذلها الإنسان لابذل . كلنا يشعر ، لاسيما فى أوقات فراغه ، بفيض من الفعالية يحتار فى أمر استخدامها ؛ فإذا لم تجد مخرجاً ألقت بالإنسان فى غياهب الذهول ، فيصبح أسير الأحلام النهارية ، ويتأثر بالمنامات . وهذه حالة كثيراً ما تؤدى إلى الضعف والفساد . إن قوى الإنسان بحاجة لأن تمرن للتمرن ، فلا تكتفى بالعمل العادى ؛ فوجب أن تصرف فى الألعاب ورياضة الجسد ، وفى تذوق الجمال فى مظاهره المختلفة من أدب وموسيقى وتصوير وغيرها من آثار الفنون الجميلة .

فإذا اهتمت الأمم الراقية بهذه الفنون والرياضة البدنية ، فإنما تعنى بذلك لتحتفظ فى الشباب قوام الروحية ، ولتنمى هذه القوى ، خشية من تحولها لفساد ، أو ذهول ، تضعف معها إنسانية الإنسان وقد تتلاشى . فلا غرابة إذا رأينا المربين يؤيدون مبدأ إصلاح المجتمع بالفنون الجميلة وتشجيعها .

إن الفنان الجدير بفنه يتحكم بالزمن تحكما لا يستطيعه غيره . يستطيع كل إنسان أن يعود إلى أى مكان سبق ومر به ؛ ولكنه لا يستطيع أن يستعيد لنا لحظة مرت سوى الفنان من بنى الإنسان . والفنان يستطيع ، عدا ذلك ، أن يستبق تلك اللحظة ، وأن يخلدها . فإنه يأخذ من أى مظهر من مظاهر الجمال ، وقد تجلى فى زمن من الأزمان ، عناصر هامة يركب منها رائعته التى تحفظ لك ذلك التجلى وزمنه ، ويجعل باستطاعتك العودة إليه متى أردت. فكأنه يحرر هذه العناصر من جبرية المادة ونواميسها ، ويمنحها كيانا جديداً يصله بروحك . وهذا ما يضمن للأثر الفنى الخلود . إنه قد عبر عن نفسية الفنان ، وانبثق عن روحه ، فكانت له قيمته الروحية . ولهذا جعل الفلاسفة الجمال مبدأ للخير .

والخير هو حصول الشىء على كماله ، أو ، حسب تعريف بعض المعاصرين ، ما يجب اختياره .

فالحرية والإرادة شرطان أساسيان فى تحقيق وجوده ولا يستطيع الإنسان أن يكون حراً فى اختيار ما يجب اختياره إلا إذا كان مثقفاً لحد ما .

ومن هنا نشأت فكرة وجوب العناية بتثقيف الجماهير فى الأمم الديمقراطية الحرة ، إذ مهما كان العمل عظيما ، فلا يعتبر فضيلة ، إن لم يقترن بالفهم والتفكير ، أى بالروح العلمية .

فهذه القيم : الحقيقة والجمال والخير ، مهما افترقت فى مفاهيمها ، فإنه يجمعها أنها تشترك كلها فى تكوين المثل العليا الصحيحة . ولا تكون المثل العليا صحيحة إلا إذا دخلت فى دائرة التأمل والإرادة ، وكانت ثورية فى طبيعتها .

قال بيجوى : « ... وهكذا ، فإن أول شكل المثل الأعلى فى التاريخ ، وأول شكل يكشفه ، هو النقد والمناظرة ، وإنه ، لدرجة ما ، ثورى دائماً » . ولعله يقصد بالثورة ، هنا ، ثورة النفس على النفس ، ليتم الانقلاب فيها أولا ، قبل أن تفكر فى قلب المجتمع : « لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . (قرآن كريم)

إننا ندعو للقيم الروحية لتستقر مشاريعنا ، وتستمر ؛ لأن المشاريع التى تتعلق بالفرد تزول بزواله ، أو بزوال نشاطه . قال ويلز: « إذا أردت أن تبعث شعباً من الشعوب من غفوته ، فحسبك أن تبعث فى حياته روحاً علمية فى التفكير ، وشعوراً لطيفاً فى النفس يتفجر عنه الحب والعواطف » .

ومن هنا يجب أن يندفع الإنسان إلى العمل . فلا بد فى الحصول على مسرات القيم الروحية ومباهجها وفى بلوغ نتائج تأثيراتها الرائعة فى توجيه الأمم وإنهاضها وعظمتها ؛ لا بد فى ذلك كله من أن يبدأ المواطنون بثورة النفس على النفس ؛ ولا يتسنى لأى إنسان القيام بهذه الثورة إلا بعد تحطيم الأصنام المتربعة على عرش قلبه ، قبل كل شىء .

لا يمكن معرفة الحقيقة الناصعة ، وتذوق الجمال الرائع ، والانجذاب إلى عمل الخير النافع ، ولا يستطيع الإنسان اعتناق المثل العليا ، وهى وحدها تبعث الاطمئنان فى النفوس ، إلا بمواجهة الواقع . ومواجهة الواقع بصدق وإخلاص ودراية يقضى حتما بتحطيم ما فى النفس من أصنام تدفعها لطرق ملتوية لا تستقيم معها النفوس . والأصنام كثيرة : منها ما هو مادى خارجى يؤثر فى النفوس ، كالمظاهر المادية ووسائل الترف ؛ ومنها ما هو نفسى داخلى يتآكل فى النفس إنسانية الإنسان . وكل امرىء يعرف أصنامه ، وما دام عابداً لها فليس له أن ينتظر رقيا ولا تقدما فى نفسه ، بله فى مجموع يعتمد عليه .

قال بارودى : « نخشى من جمود المؤسسات والأخلاق والعقائد ، لئلا تتحول لآلية نفسية أو اجتماعية ، تصبح معها عائقاً عن التقدم » .

فلا يكفى إذن أن تتبنى القيم الروحية ، بل يجب أن تتجدد حيويتها فى نفوسنا بقوة فعاليتنا الروحية ، ولا يتم ذلك على أكمله ويبعده عن التزوير والدجل والتزييف ، إلا إذا اتصلت بالمثل الأعلى الأعظم ، وهو جماع القيم الروحية فى سموها ، أى الحقيقة المطلقة ، والجمال الأسمى ، والخير الأعظم ، وهو الله .

فمتى اتصلت قيمنا الروحية بالله ، تصبح روحانية ، فتتوازن وتتركز وتتوحد ، وتكون منشأ الوحدة بين البشر ، إذ لا يجوز أن يكون اسمه ، جل شأنه ، وسيلة تفرقة بين المواطنين والشعوب والأمم .

واصف البارودى

صور من الحياة :

ســـعادة البك ...

للأستاذ كامل محمود حبيب

ما لهذه الحياة تمزج الجد بالهزل ، وتخلط الحق بالباطل ، وتجمع بين الشدة واللين ، وتوائم بين الصعب والسهل ؟ لعلها تبتغي أن تنفث في الناس الأمل فلا يعتريهم الملل ، وتبعث فيهم المرح فلا يضنيهم الأسى ، وترسل فيهم الرجاء فلا يقتلهم اليأس !

***

سعادة البك رجل نيف على الأربعين ، نال حظاً ضئيلاً من الثقافة العربية والفرنسية ، درج في بيت من بيوت المجد والغنى والجاه ، وكان أبوه الباشا يعتز به ويدلله ويقربه إلى نفسه وقلبه في وقت معاً ، فشب يرفل في الثراء والنعمة ويتألق في الصحة والعافية ، ويتقلب في السكينة والهدوء ، يأوى إلى المسكن الرحب الأنيق ، ويسعد بالثوب الغالي الجميل ، ويسكن إلى الطعام الشهي اللذيذ . يقضي أيامه بين القاهرة والعزبة ، يأخذ من هناك لينفق هنا عن سعة ، ويستمتع في الريف بالهدوء الوادع والجو الرخو ، والهواء النقي ، والخضرة النضيرة ، ويستمتع في القاهرة بالصخب المثير ، والحركة المستمرة ، واللهو البرىء . وهو إن وجد في العزبة ما يشغل بعض وقته فهو في القاهرة لا يجد إلا صراعاً عنيفاً بينه وبين الزمن : يريد أن يقتل الوقت فيقتله هو ، ويحاول أن يلمس فيه الراحة والطمأنينة ، فلا يحس إلا الضيق والضجر . والأيام تمر وهو يقضي صدر النهار قلقاً مفزعاً لا يجد الصاحب ولا الرفيق ، والناس في شغل عنه . وهو في آخر النهار يتذبذب بين شرفتي الكونتيننتال وشبرد ، يضطرب من نضد إلى نضد ، ومن جماعة إلى جماعة ، وصحابه جميعاً من ذوى المكانة والشأن ، ومن أصحاب الرأى والكلمة ، يجلس إليهم في الشرفة ويزورهم في المنزل ، ويرافقهم في اللهو ، ثم هو يهيىء لهم المآدب الفخمة ، والسهرات العابثة ، يدعوهم إلى الملاهى والمسرح فلا يتمنعون . وهم لا يملون صحبته ، ولا يمل هو ، فهو خفيف الظل لطيف المعشر ، طيب القلب ، حلو الحديث ، بارع النكتة ، حاضر البديهة ، لا يثقل على واحد منهم بحاجاته ، لأنه في غنى ، وهو لا يشغل نفسه بحاجات غيره .

عرفته منذ شهور ، وقد ران عليه القلق من أثر الفراغ ، وسيطر عليه الاضطراب من أثر الخمول . ولقد اطمأن إلىّ فراح ينشر أمامي نوازع نفسه وخطرات ضميره : فهو يطمع في أن يلي منصباً عالياً من مناصب الدولة ، ولكن أنى له الشجاعة التي تدفعه إلى أن يتحدث بذات نفسه إلى واحد من صحابه ، وهو في نفسه عظيم بين عظماء ، لا يسمو عليه الوزير ، ولا يبذه الباشا ، ولا يعلو عليه المدير . لا ريب فإن طلبه سيضع من قيمته في نظرهم جميعاً ، ولكنه سيجد الخلاص . وشمله مركب العظمة فهو لا يتكلم إلا عن عظمته هو ، وعن مواهبه وعبقريته ونبوغه .

وفي ذات يوم قال لي : « أرأيت ؟ لقد ولى فلان باشا وزيراً لوزارة كذا ، ولولا أنه صديقي لنازعته المنصب ، ولو أنني فعلت لظفرت به ولغلبته على أمره » وابتسمت لكلماته الجبارة حين رأيت مركب العظمة يتوثب شامخاً في غير تواضع مترفعاً في غير تحرج ، ثم قلت « وأنت لو شئت لاختارك معالي الباشا ، وهو صديقك ، وكيلا لوزارته » قال لي « حقاً ، حقاً ! غداً أذهب إليه لأهنئه ولأطلب إليه ما أريد في شجاعة وتثبت »

وغدوت إلى مدير مكتب معالي الوزير ، وإن بيني وبينه صلات العمل وأواصر الصداقة ، فألفيت صاحبنا البك جالساً على كرسي وثير وعليه سيما العظمة والكبرياء ، وبين يديه ورقة وبين أنامله قلم ، فحييته في احترام وجلست إلى جانبه أحدثه « ماذا تفعل يا سيدى البك » قال « لقد أردت أن أقابل معالي الوزير فلم أجده فأنا أكتب إليه خطاباً أهنئه بالمنصب الجديد ، وأطلب إليه ما أريد » قلت « وماذا تريد ؟ » قال « أريد أن أكون عضواً في مجلس الشيوخ في المكان الذي خلا بوفاة فلان باشا » قلت :

وماذا عسى أن يملك الوزير من هذا الأمر ، وهو بين يدى مولانا الملك » قال « لا يجب أن تقول هذا القول وأنت موظف صغير لا تفهم عن المناصب الكبيرة شيئاً . ألا تعلم أن معالى الوزير إن شاء حدّث دولة الرئيس فى شأنى حديثاً طيباً ، فما يحجم دولة الرئيس عن أن يزكينى لدى مولانا الملك » قلت « عجباً ! كيف فاتنى هذا الرأى ! »

ثم انطوى البك على قلمه وقرطاسه ، وفرغت أنا إلى مدير المكتب ، فقال لى « أو تعرف شيئاً عن هذا الأفندى ؟ » قلت عابثاً « لا تقل هذا ! إنه رجل من ذوى المكانة والخطر ، وهو صديق روحى لصاحب المعالى الوزير ، لا يوصد فى وجهه باباً ، ولا يرد له شفاعة » قال « ولكنه يجهل التقاليد الحكومية » قلت « وله ؟ » قال « لقد طلب إلىّ أن يلقى الوزير ليهنئه ، وليطلب إليه أن يعينه عضواً فى مجلس الشيوخ ، وهذا أمر لا يد للوزير فيه » قلت « الآن ترى ! »

وتاديت سعادة البك ليشاطرنا الحديث فجاء فقلت له : « وإذا قال لك الوزير إنى لا أملك أمر تعيينك عضواً فى مجلس الشيوخ ، ولا أستطيع أن أحدث دولة الرئيس بذلك ، لأنك لم تكن يوماً سياسياً من ذوى الرأى والمبدأ والعقيدة ، ولم تكن عضواً فى حزبه »

قال : « آه ، نعم . لقد فاتنى هذا الرأى ، ولكن إذن أطلب إليه أن أكون مديراً عاماً لإدارة كذا » .

قلت : « وأنت رجل لا عهد لك بما تتطلبه هذه الإدارة من أعباء ، وهى إدارة فنية ، ثم إن هذه وظيفة تحط من قدر رجل عظيم مثلك » .

قال : « فماذا أعمل ؟ »

قلت : « إذن لا معدى لك عن أمر واحد ، هو أن تكون مديراً لمكتب معالى الوزير » .

قال فى غضب : « أى خساسة وأى ضعة ! لقد جئت أرجو الرجل — وهو لا يعرفنى — فتلقانى فى بشر واحترام ، أفأسعى — بعد ذلك — لأنتزع كرسيه ؟ لا ، لا . لن يكون ذلك أبداً ! »

قلت : « هذا مكانك أنت ، فستلق هنا عظماء الدولة يرجون رضاك ، ويتملقون كبرياءك ، وينحنون لك ، وستكون أنت — إلى ذلك — صاحب الرأى لدى معالى الوزير ، وكاتم سره ، ورفيق نفسه » .

قال : « لا ، لا . لن يكون ذلك أبداً ! »

قلت : « وماذا عليك والمدير نفسه راض ، لا يجد غضاضة فى أن ينزل لكَ عن كرسيه ؟ »

قال : « أفيرضى هو ؟ فلنسأله ... »

وبدا للمدير ما أحاول من عبث ومزاح ، وراقه ما أفعل ، فأراد أن يسرى عن نفسه بعض عنت العمل ، فقال فى مكر : « نعم ، أنا راض على شريطة واحدة » .

فأجابه البك فى لهفة : « وما هى ؟ »

قال المدير : « أن تسعى لدى معالى الباشا لأكون مديراً للادارة التى ذكرت » .

قال : « لا بأس ، فهذا أمر سهل بسيط » .

ثم خلا البك إلى قلمه يديره على القرطاس مرات ومرات فلا يهتدى . وأعجزه أن يكتب كلمة واحدة فنادانى كى أعينه على أمره وقد حزبه ، قال « تعال ، يا أستاذ ، أرنى كيف تكتب طلباً أقدمه إلى معالى الوزير . فأنت — كما تزعم — أديب كبير » قلت « وما للأدب والطلبات الحكومية . إن الأديب يكتب على نسق خاص لا تستسيغه الأوراق الحكومية وهى لا تنفتح — عادة — إلا على ألوان من التملق وأساليب من الخضوع وفنون من الذلة وأنواع من المسكنة ، وأنا لا أحسن شيئاً منها » قال فى غضب ومن ذا الذى يحسنها غيرك أيها الموظف ؟ » قلت فى ابتسام « مدير المكتب يمليك فهو يختار — دائماً — من الكلام ما يرضى الوزير ويتملقه » قال وهو يلتفت إلى المدير « نعم ، أتسمح يا سيدى المدير فتملى » .

ورأى المدير أن المزاح يوشك أن ينقلب جداً ، فاضطرب فى كرسيه حين تراءى له ما سيكون بعد ، فأعرض عن البك ومال إلى يسر فى أذنى « أرأيت كيف جرنا المزاح إلى الهاوية ؟ » قلت « أى هاوية ؟ » قال « هذا الرجل صديق الوزير ، ما فى

ذلك من شأنك ، وهو سيصر على أمر وسيحدث به الباشا ، فماذا ترى سيقول حين يعلم ما كان منى وما كان من هذا الرجل . لا ريب أنه سيثور على ويقذف بى إلى أقصى الأرض رغم ما تعرفه من ثقته بى وحرصه على » قلت « لا تخف ! » ثم التفت إلى سعادة البك أحدثه قائلا « أتطلب إلى الوزير أن تكون مديراً لمكتبه ؟ كيف ترضى أن تكون خادماً له تحمل حقائبه وتتبعه كما يتبع الكلب الأمين سيده ، وتنمحى أنت بين مشاغله ورغباته ؟ » فثار حيناً ثم قال « ومن قال ذلك ؟ » قلت « هذا هو عمل مدير المكتب » قال « لا ، لست أرضى بأن أكون تبعاً لأحد ، يكفينى أن أعين عضواً فى مجلس الشيوخ » قلت « حسناً ، هذا مركز ذو شرف وجاه » .

وأخذ مدير المكتب يملى والرجل يكتب إلى الوزير رجاء أن يعينه عضواً فى مجلس الشيوخ ، وتنفس المدير واطمأن وهدأت وساوسه . ورضى سعادة البك . ثم التفت البك إلى مدير المكتب قائلا « مُرْ من يكتب هذا الطلب على الآلة الكاتبة ، وسأحضر غداً لأقدمه بنفسى إلى معالى الوزير » وأجاب المدير بالإيجاب . ولكن الشواغل شغلته عن أن يفعل .

وجاء البك فى الميعاد فألقى طلبه ملقى فى ناحية . وبدا له أن مدير مكتب الوزير قد أهمل شأنه فثار به . وعلى حين غفلة منه اندفع صوب باب الوزير يقتحمه ليشكو هذا الموظف المهمل ، فما انتبه المدير إلا ليرى البك أمام الوزير وجهاً لوجه ، والوزير يهش له ويبسم ويلقاه فى سرور . وعجب المدير لما يرى ولكن الوزير أمره بأن لا يوصد بابه فى وجه سعادة البك لأنه صديق روحه ورفيق قلبه .

لقد دخل البك الثرى حجرة الوزير لم يقف ببابه لحظة واحدة ... دخل وخلف من ورائه موكباً لجباً يقف لدى الباب ، تنطوى الأيام وأن الواحد منهم ليخشى أن يحين حينه قبل أن يلقى معالى الوزير ...

كامل محمود حبيب

موكب الربيع ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

النغم النشوان

يا حبيبى ، ظمئت روحى وأضناها الحنين
أنا هيمان وشكى فيك يا حلو يقين
رقد الليل فما تفضح نجوانا العيون
قم نلبّ دعوة الحب فدنيانا الفتون
زورق الحب على الشط كقلبى المطمئن
قم فهذى ليلة الحب هيا نتغنى

* * *

أقبلت أطياف آذار تحيينا ابتساما
جددت للقلب أفراحاً وللروح هياما
فأقيموا للربيع الممتع عيداً يا ندامى
عمت الفرحة واديْنا أنسلوها نياما
يا هنائى آه لو كنت على الأحزان عونى
أعناك على البعد وهل يجدى التمنى ؟

* * *

يا ليالينا بوادى السحر عودى يا ليالى
لم أزل نشوان أستلهم أقباس الجمال
فالدجى غاف وبدرى والأمانى حيالى
الهوى يوحى إلى نفسى تهاويل الخيال
أين يا ليل ندامى وأكوابى ودنى ؟
أترى يرجعها الليل فأسقى وأغنى

* * *

الضحى النشوان يغوينى وسحر الصبح يغرى
فأغنى وأغانى مع الأنسام تسرى
الهوى يحويه لحنى والشذا يطويه شعرى
فأنا زنبقة سح عليها صوب عطر
قل لمن ينكر شدوى أين من سمعك لحنى
لو تفهمت أناشيدى لما أنكرت فنى

(بغداد) عبد القادر رشيد الناصرى

من أدبنا المجهول :

المنصف

لابن وكيع المصري المتوفى سنة ٣٩٣ هـ

للأستاذ السيد أحمد صقر

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

أو لم يسمع القانون عنه أخذ الكلام من النثر والنظام قول الفرزدق : نحن معاشر الشعراء أسرق من الصاغة ؟ أو ما سمعوا قول الحكماء : من العبارة حسن الاستعارة ؟ وما شيء بأعجب من وقوع جلة الشعراء في أمر يشترك فيه قديمهم ومحدثهم من استعارة الألفاظ والمعاني على مر الزمان بتحكيك الفحول منهم الشعر وتنقيحهم إياه ، حتى إنهم كانوا يسمون قصائدهم الحوليات ، لأنهم كانوا يعيدون فيها النظر حولا حولا تحرزاً من ظهور عيب ، ثم يصحبهم طول النظر وكد الخواطر والفكر من أن لم يعض بعضهم بكلام بعض . ثم لا يرضى مقرظ أبي الطيب حتى يدعي له السلامة الكاملة من عيب لم يتكامل في أحد قط تكامله فيه . وأنى له بالسلامة من ذلك وقد جاء على ساقة أهل الشعر بعد استيلاء الناس على حلو الكلام ومره ، ونفعه وضره ، وهذا الظلم الواضح والأمر الفاضح

وسأدل أولا على استعمال القدماء والمحدثين أخذ المعاني والألفاظ ، ثم أعود إلى تنخل شعر أبي الطيب ومعانيه ، وإثبات ما أجده فيه من مسروقات قوافيه التي لا يمكن فيها اتفاق الخواطر ، ولا تساوي الضمائر ، لأن ذلك يسوغ في النذر القليل ، ويمتنع في التواتر الكثير . وسأنصفه في كل ذلك ، فما استحقه على قائله سلمته إليه ، وما قصر فيه لم أدع التنبيه عليه ، لئلا يظن بنا الناظر في كتابنا خوراً في قصد ، أو تقصيراً في نقد . وذلك يلزمنا إلحاق ما فيه عيب غير السرقة بالمسروق ، خوفاً من أن يقول قائل قد تجاوز عن أشياء من الثثاثات واللحون والمحالات كانت أولى من الذكر للسارقات . هذا إن لم يبعر عنا بالنفقة عنها إلا لتجاوز لها . وينبني إذا عملنا على تسلم ما له من السرقات إليه ، ورد المقصر منها عليه ، أن أثبت لك وجوه السرقات ، محمودها ومذمومها ، وصحيحها وسقيمها ، وأعرفك ما يوجب للسارق الفضيلة ، وما يلحقه الرذيلة ، ليكون ما نورده له وعليه مقيساً على أس قد أحكمناه ، ونهج قد أوضحناه ، وما غرضنا في ذلك الطعن على فاضل ، ولا التعصب لقائل ، وإنما غرضنا إفادتك ما استعدناه ، وكفايتك الفحص عما استكفيناه ، لتظهر على خصمك ، وتزداد قوة في علمك ، وبالله نستعين ، وعليه نتوكل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل » .

هذه هي المقدمة الرائعة التي قدم بها ابن وكيع المصري بين يدي كتابه ، وفيها كل الغناء لمعرفة قيمة الكاتب والكتاب .

وقد تحدث ابن وكيع بعد ذلك عن السرقات ووجوهها العشرة المحمودة ، ومثيلاتها المذمومة حديثاً ممتعاً مطرباً مركزاً شاملا ، ثم قال : « وقد عرفتك الآن وجوه السرقات محمودها ومذمومها لتسلم من الحيف عليه ، وتقضي في الحقائق بما له وعليه مما أوجبه حكم السرقة من الإنصاف ، ولقبنا كتابنا « المنصف » لما تعمدنا من إنصاف السارق والمسروق منه » .

وعقد بعد ذلك فصلا ضافياً عن أنواع البديع أو وجوهه ، كما يعبر ، ثم عقب عليه بقوله : « وقد قدمت لك من هذه الأقسام ما تقوى به معرفتك بنقد الشعر فائقه ومقصره ، وأطلعتك على سرائر رذله ومتخيره ، لتفاضل بين الشعراء بأصل ، وتنطق بعدل » . ثم شرع في مقصوده الأصيل ، وهو بيان سرقات المتنبي . وقد نهج في تبيانها منهجاً ممتازاً ، ذلك أنه تتبع شعر المتنبي تتبعاً تاريخياً ، وسايره بالنقد من أبياته الأولى إلى آخر قصيدة قالها …

وقد خلا كتاب المنصف من ذلك الثقل البغيض الذي يشيع الملل في نفس القارئ ، والذي تحسه واضحاً قوياً في كتاب الوساطة . وما كان خلوه من ذلك الثقل مصادفة ولا عفواً ، وإنما كان أمراً قصد إليه المؤلف قصداً ، واحتال للخلاص منه احتيالا بإيراد الأخبار النادرة ، والمعاني الباهرة ، كاملة غير مخدجة كلما اقتضى المقام إيرادها ، واستدعت المناسبة القوية ذكرها .

وقد نبه على صنيعه هذا في مواطن كثيرة يقول في أحدها :

« وإنما قصدناه قصداً ، وأتيناه عمداً ، لأن موضوع الكتاب الفائدة للقارئ ، ولسنا نأمن عليه من الإكثار عاقبة الإضجار بمعنى واحد من السرقات ، فنريد أن ننقله إلى استماع شعر مطرب ، أو خبر معجب ، لنروح عن قلبه ، ونجلو صدره ، بما في الانتقال من حال إلى حال ، من مداواة القلوب من الأملال » .

ومما هو جدير بالذكر أن ابن وكيع قد اعتمد على ذوقه الخاص في نقد شعر المتنبي ، ولم يقتصر على سرد أقوال السابقين من النقاد ، كما صنع غيره من المؤلفين ، وإنما أجال نظره ، وأعمل فكره ، وأدار عقله في شعاب شعره ، ثم عبر عن مشاعره وآرائه وأحاسيسه وأفكاره في قوة ووضوح وثقة واعتزاز ؛ ومن هنا كانت نفاسة الكتاب ، وسمو منزلته بين كتب النقد الأدبي .

وقد حرص ابن وكيع في كتابه على أمرين عظيمين : نقد الصورة الشعرية ومحاولة إصلاحها ، والموازنة المفصلة بين المعاني التي يتوارد عليها الشعراء . فقد ضرب في هذين اللونين من ألوان النقد بسهام وافرة ، وأتى فيها بما يعجب ويطرب ، ويلذ ويشوق

قرأ ابن وكيع قول المتنبي :

بدت قمراً ومالت خوط بان ... وفاحت عنبراً ورنت غزالا

فلم ترقه الصورة الشعرية ، لأن المتنبي قد أفسدها بإقحامه « العنبر » بين التشبيهات التي شبه بها محبوبته ، وهي القمر ، والغصن ، والغزال ؛ فقال : وقوع « فاحت عنبراً » بين هذه التشبيهات التي هي أعضاء ، قلة صنعة ، وضيق عطن بما يليق في البيت ، ولو قال « وماجت لجة » يريد ردفها كان البيت كله تشبيهات ، وكان أحسن في صنعة الشعر ؛ ولو جعل البيت بثلاثة تشبيهات فقال : « تثنى مائداً ورنت غزالا » لاكتفى بذلك .

وجميع البيت موجود في قول ابن الرومي :

إن أقبلت فالبدر لاح وإن مشت ... فالغصن مال وإن رنت فالريم

وقال البحتري :

فهي الشمس بهجة والقضيب الـ ... ـنضر ليناً والريم طرفاً وجيداً

ويقرأ قول المتنبي :

بكيت يا ربع حتى كدت أبكيكا ... وجدت بي وبدمعي في مغانيكا

فعم صباحاً لقد هيجت لي شجناً ... واردد تحيتنا إنا محيوكا

بأي حكم زمان صرت متخذاً ... رئم الفلا بدلا من رئم أهليكا

أيام فيك شموس ما انبعثن لنا ... إلا ابتعثن دماً باللحظ مسفوكا

فلا يعجبه البيت الأخير لأنه لا يشاكل البيت الذي قبله ، ولا تتسق به الصورة الشعرية فيقول : « هذا بيت رديء الصنعة ، لأنه كان في حديث الوحش ثم قال : « شموس » ولو قال « ظباء » كان قد أورد ما يجانس البيت الأول » وأحسن من قوله في بقية البيت قول أشجع :

وإذا نظرت إلى محاسنها ... فلكل موضع نظرة قتل

وقال أبو نواس :

رسم الكرى بين الجفون محيل ... عفى عليه بكا عليه طويل

يا ناظراً ما أقلعت لحظاته ... إلا تشحط بينهن قتيل

قال ابن وكيع : وقد أخذت هذا المعنى فقلت :

لا ووجه لك يبدى ... صفحة السيف الصقيل

وسواد الشعر الأسـ ... ـود في الخد الأسيل

وعيون لك لا تطـ ... ـرف إلا عن قتيل

ما جميل الصبر عن مثـ ... ـلك عندي بجميل

ومن ميز بين القولين عرف الفرق بينهما .

ويقرأ ابن وكيع قول المتنبي :

شاب من الهجر فرق لمته ... فصار مثل الدمقس أسودها

فيقول : « تخصيصه الشيب في فرق اللمة ضيق عطن بلفظ يعم جملة اللمة وكان ينبغي إذا خصص فرق اللمة بالشيب أن يقول « فصار مثل الدمقس أسوده » لعود الهاء على المذكر . ولو قال :

شابت لهجر الحبيب لمته ... فصار مثل الدمقس أسودها

كان في الصنعة أملح ، وهو مأخوذ من قول القائل :

يبين عنه أبان في شعري ... أبيضه بعد حسن أسوده

في هذا البيت مجانسة من ذكر البين والإبانة ، وفيه مطابقة ، وفيه ضرب من استخراج معنى احتذى عليه ، وإن فارق ما قصد به إليه ، من ذلك قول امرئ القيس :

فظل العذارى يرتمين بلحمها ... وشحم كهداب الدمقس المفتل

فشبه الأبيض بالأبيض ، فنقل أبو الطيب هذا التشبيه من الشحم إلى الشيب وشبه الأبيض بالأبيض ، ففي هذا البيت رجحان على ما قاله أبو الطيب ، والسابق أولى به .

ويقف ابن وكيع عند قول المتنبي :

وقابلني رمانتا غصن بانة　　　يميل به بدر ويمسكه حقف

ويقول : « إضافة الرمانتين إلى غصن البانة تدل على أن أغصان البان من ثمرها الرمان ، وقد عرفنا مقصده ، إنما شبه الثديين بالرمانتين ، وقدها بالغصن ، وأرانا جمع خلقها غرائب لا تجتمع ، ولا تقع إلا فيه ، ولو أمكنه أن يقول : « رمانتان في غصن بانة » كان أسوغ في مقصده كما قال ابن الرومي :

أغصان بان عليها الدهر فاكهة　　　وما الفواكه مما يحمل البان

فكل يعجب مما ليس في العادة اجتماعه . فأما إطلاقه اللفظ على الرمان أنه من ثمر البان بغير مقدمة توضح مراده فلا أستحسنه ها هنا . وقوله : « يميل به بدر » فالبدر وجهه ، وليس يميل وجهه بقده ، لأن قده إذا مال ، مال بوجهه حيث يميل . وابن الرومي أشعر منه في إثباته أن الفواكه ليست مما يحمل البان ، فدل على أن المراد التشبيه لا الحقائق ، وهو أولى به . وهذه معان متداولة إذا نشط لأحدها فلا بد من إخراج مواضعها ، ومع ذلك فقد عرفتك نقصان صنعته فيها ، وكلاهما بالسلامة أرجح وهما أولى بما قالا » .

ويوازن ابن وكيع بين قول المتنبي :

هم الناس إلا أنهم من مكارم　　　تغنى بهم حضر ويحدو بهم سفر

وبين قول ابن الرومي :

وقد سار شعري شرق أرض وغربها

وغنى به الحضر المقيمون والسفر

فيقول : « فألفاظ بيت ابن الرومي يأخذ بعضها بأعناق بعض ، وقد عرف « الحضر والسفر » بالألف واللام ، فيمكن أن يقال : إن الناس كلهم قد عنوا به ، وأبو الطيب نكر ، فأمكن أن يكون المعنى فرقة من الحضر وفرقة من السفر . وإذا كان كلام ابن الرومي أشرح وأمدح بإمكان العموم فيما خص فيه أبو الطيب ، فابن الرومي أحق بما قال . ولعل قائلا أن يقول : جمع أبو الطيب حالتي الغناء والحداء ، فصارت له زيادة فإنه إنما يحتسب له بذلك لو كان الغناء لا يكون إلا في الحضر ، فإذا صلح للحضر والسفر ، لم يصح تقسيمه ، وقد قال عمر بن الخطاب : نعم زاد الراكب ، فجعله بمنزلة الزاد للمسافر .

ويقرأ ابن وكيع قول المتنبي يخاطب حادي عير حبيبته .

قفا قليلا بها علي فلا　　　أقل من نظرة أزودها

فيقول : « معنى هذا البيت غير غريب . ولكن أبا الطيب لا يحقر شيئاً ، بل يأخذ الشعر الرفيع والوضيع ، وهو في هذا الأخذ كما قال ابن المعتز في العشق :

قلبي وثاب إلى ذا وذا　　　ليس يرى شيئاً فيأباه

يهيم بالحسن كما ينبغي　　　ويرحم القبح فيهواه

فيجب علينا الاهتمام بما اهتم ، وهذا البيت من قول ذي الرمة :

فإن لم يكن إلا تعلل ساعة　　　قليل فإني نافع لي قليلها

وهو من قسم المساواة ، وقال ابن أبي فنن :

ما ضر لو زودت خلك نظرة　　　قبل الرحيل وقلت قولا يجمل

إلى آخر ما هنالك من النفائس التي تضمنها كتاب (المنصف)

السيد أحمد صقر

المدرس بالليسية الفرنسية بمصر الجديدة

إلى وكرك يا قلبي!

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

إلى وكرك يا قلبي   ففي وكرك أحلامك
تعانق فيه ما يوحيه من شعرك إلهامك
وتفنى في جلال الحب والأحلام آلامك
وتزخر فيه أصداؤك بالنجوى وأنغامك
فقد تسحرك الدنيا   فتستيقظ آثامك
إذا ما حدت عن وكرك أو غرتك أوهامك

إلى وكرك يا قلبي   فقد حاصرنا الليل
وجنت حولنا الدنيا   فلا وعي ولا عقل
وخفت زمر العشاق كالأحلام تنسل
دعتها الشهوة العمياء فانساق بها الرحيل
وهامت في ضلالتها   بكأس اللذة تنهل
فلذ بالوكر يا قلبي — حسبك ذلك الظل

إلى وكرك يا قلبي   لتطرح عنك أعباءك
وتسمع في سكون الليل من جارك أصداءك
ولا تعبأ بأضواء   ينسيك أضواؤك
فذاك لم يزل يقظان يستلهم إحياءك
يطل عليك من مرقاه يستطلع أنباءك
فلا تحفل بمن تبسم، أو ترمع إغواءك

إلى وكرك يا قلبي   فإن الليل خداع
ترى الأضواء ساحرة   وهذا السحر إيقاع
وهذى الفتنة الحيرى   غوايات وأطماع
وهذا الحب يا قلبي   ملذات وإمتاع
وهذى حية الجنات تلهو بالألى انساعوا
فعد للوكر يا قلبي   فلا تشق وتلتاع

حسن كامل الصيرفي

دعاء الملاح الحائر

للأستاذ محمد خليفة التونسي

أيها الخابط في اليم اتئد   قد توغلت، فهل تستمنى؟
يمم الشط، فما فيما تود   راحة، آمنت أم لم تؤمن!

يمم الشط الذي منه أتيت   تحظ بالراحة فيه والسكون
أنت — لا شك، إذا أوغلت — ميت
حوتنا يبتلع اليم السفين

يمم الشط، ولا تخدع بما   يتراءى لك في الأفق البعيد
تلك أوهام كذاب كلما   زدت إيغالاً تراءت من جديد

تلك أوهام على اليم تلوح   راقصات في جمال ساحر
لا يراها غير ذي القلب الطموح   فيناديها بعزم صابر

فإذا أوهامه لم يظفر بما   كان يرجو من نعيم وسلام
وهو — لا بد — سيغنى ندما   إذ يرى اليم ظلاماً في ظلام

قد يريد المرء ما فيه دماره   ولقد ينكر ما فيه علاه
من له — والغيب محجوب سراره
عنه — أن يعرف ماذا منتهاه

أيها السادر في أحلامه   لا تطاوع شهوة السبح اللجوج
آفة الإنسان في أوهامه   وإذا شط الهوى عز الخروج

ما لهذا اليم حد ينتهي   عنده، والسبح لا يجديك غنما
لا، ولن تلق به ما تشتهي   من منى أفنين أيامك هما.

يمم الشط، ودع ما يتقفك   حسبك الشط، ففي الشط غناء
خير أوهامك وهم يحمك   ويعزيك إذا عز العزاء

إنما دنياك لهو ولعب   وهما أنفس ما يقنى الرجال
فاله والعب طالما اسطعت تصب   خير ما في وسع أبناء الزوال

(كوبري القبة)   محمد خليفة التونسي



من طرائف العلم :

عند ما تنقلص الشمس

صرح العلامة سير جيمس جينز أن الشواهد تدل على أن الذرات الكائنة في مركز الشمس تكاد تتقلص تقلصاً هائلا ، فيصير مصدر إضاءة المجموعة الشمسية نجماً باهت اللون ، يعجز عن إمداد وجه البسيطة بالحرارة التي تكفل استمرار الحياة ، وأن احتمال انقلاب الشمس إلى نجم ضعيف الضوء قد يحدث في أية لحظة .

فهل معنى ذلك أن حياة البشر تبلغ نهايتها سريعاً ؟ ! إن مقياس الزمن – لحسن الحظ – في تقدير الفلكيين لمثل هذه النهاية يعادل ملايين الملايين من السنين . فإن تكن خاتمة الأرض قريبة في عرفهم ، فإنا نستغرق أجيالا وأجيالا قبل أن تكون .

على أن الباحث قد يتأمل ويسأل : ما الذي يحدث إذا تقلصت الشمس وتحولت إلى نجم من النجوم التي تدعى « الأقزام البيض » ؟ إن مثل هـذا النوع من النجوم له كثافات تفوق كثافة الماء آلاف المرات . فتوأم الشعرى ٤ و ٤٠ أريدانى ، وفان مانن كثافتهما على التوالى ٤٤ ألف ، و٩٠ ألف و٥٥٠ ألف كثافة الماء . أى أن جزءاً صغيراً من النجم فان مانن في حجم عود الثقاب قد يزن ربع طن على الأرض . أما توأم الشعرى فكتلته تضارع كتلة الشمس تقريباً . ولذلك يمكن الباحث أن يفرض أنه إذا حدث للشمس انقلاب ما ، فإنها تتحول إلى ما تحول إليه هذا النجم . وسيجد في هذه الحالة أن جزءاً صغيراً جداً من الشمس المتقلصة قد يزن عدة أرطال على الأرض . ولكن كثافة الشمس في حالتها الراهنة تعادل كثافة الماء ٤١ر١ مرة . فجزء منها في حجم عود الثقاب يزن ضعف وزن عود الثقاب العادى المصنوع من الخشب الذى كثافته ٧ر٠ من كثافة الماء . أى أن هذا الجزء من الشمس يزن ١/٨٠ من الأوقية .

وعند ما تتقلص الشمس ، ينكمش قرصها إلى ما يقرب من ١/٤٠ من قطرها الحالى ، وبذلك تنقص مساحتها آلاف المرات عن مساحتها الراهنة . وإذا فرض أن حرارة سطح الشمس وشدة إضاءتها لا تتغيران أثناء التقلص ، فإنهما ستكونان بعد ذلك أقل ألف مرة من ذى قبل . إن شدة إضاءة الشمس لسطح الكرة الأرضية في يوم من أيام الصيف تقدر بنحو عشرة آلاف شمعة للقدم الواحدة . أى أنه إذا وضعت عشرة آلاف شمعة على ارتفاع قدم واحدة من سطح الأرض فإن إضاءتها تعادل إضاءة الشمس ، للقدم الواحدة . وعند ما تتقلص الشمس تنخفض شدة إضاءتها إلى ما يقرب من عشر شمعات للقدم الواحدة في يوم صافى السماء ، أو خمس شمعات في يوم كثير الغيم . وعلى ذلك ، فإضاءة الأرض نهاراً لن تعادل أكثر من إضاءة إحدى الغرف ليلا بمصباح كهربائى عادى . ولما كانت شدة إضاءة الغرفة نهاراً تقدر بحوالى ١/٢٠ من الإضاءة في العراء ، فإن الشمس المتقلصة لن تكون قوة إضاءتها في الداخل تقدر بأكثر من عشر الشمعة . وستصبح حينئذ إضاءة القمر ١/١٠٠٠ من إضاءته الحالية ، وبذلك تتعذر رؤيته .

ولكن قبل أن تصل الأرض إلى حقبة التثلج الأبدى ، تمر عليها أطوار غريبة الحوادث أثناء التغييرات المستمرة داخل الشمس . ويتنبأ العلماء أنه عند ما تفقد ذرات الشمس المركزية آخر كهاربها يحدث تقلص عام فيها ، يكون من جرائه توالد الزلازل على الأرض ، وانتشار البرودة على سطحها ، ولكن قد تحدث في بعض الأحيان اندلاعات نارية قصيرة الأمد تسبب جزراً

حاراً على سطح البسيطة ، فينشأ من هذه الحرارة الفجائية كثير من الأمراض كضربة الشمس والحميات وغيرها . ويتلف المحصول الزراعي من التغير الحراري ، وتموت المضويات المتغيرة . وتقوم الشعوب الجائعة تطالب بتشكيل هيئة حكومية عالية قادرة على توفير الغذاء . وتقوم هيئة تنفيذية دولية بتنظيم السفر إلى المناطق الاستوائية الحارة ، حيث الحرارة تلائم المعيشة . ولن تمنح تصريحات السفر إلا لكل من ينتفع بمعلوماته وأعماله للمحافظة على كيان البشر . وسيهلك الكثيرون جوعاً .

وأول من يسافر إلى المناطق الاستوائية علماء طبقات الأرض والمهندسون والمدنون والكيماويون . فعلماء طبقات الأرض يبحثون عن أماكن مناسبة لإيواء الناس ، والمهندسون يعملون على تشييد الملاجئ والمساكن . وستكون الخبرة المدنين في إنشاء طرق تحت الأرض منفعة هائلة يتمتع المدنون من جرائها بنفوذ اجتماعي كبير . أما الكيماويون فيقومون بإنتاج شتى أنواع الطعام الصناعي بدلا من ذلك الذي ضاع بتلف المحصول الزراعي ، وهلاك الماشية .

وعندما يستقر الناس في معيشتهم الجديدة ، سيجدون أن سطح الأرض قد تغير تغيراً كبيراً . فتجمد مياه المحيطات والبحار تجمداً تاماً ، وتزداد البرودة زيادة هائلة ، ويتكاثف بخار الماء من الجو وبذلك تخلو السماء تماماً من السحب .

ولعل الإنسان يعمل على تكييف نفسه في ذلك الوسط الجديد ، فإن لم يستطع فقد وصل إلى نهايته المحتومة .

محمد فتحي عبد الوهاب

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

الفن بين واقع الفكر وواقع الحياة :

إنى لمغتبط إذ أرى شخصية أدبية ممتازة كشخصيتك ، تقف فى « الرسالة » الغراء طارقاً بأسلوبك التحليلى النفيس شخصية الأستاذ توفيق الحكيم الأدبية .. الواقع أن هذا الكاتب الكبير الذى تربى فى أحضان القانون واجتذبه الأدب إلى أحضانه وانتزعه من البيئة التى نبت فيها وعاش فى كنفها ، كان شمساً جديدة ضمت إلى شمس الأدب فزادت الأدب العربى نوراً وبهجة ورواء ! .

إننى لا اوافقك على رأيك عند ما تقول : « إن توفيق الحكيم فى واقع الحياة يعيش فى دنياه هو لا فى دنيا الناس » .. إن أمامنا مثلا واضحاً يظهر جلياً فى كتابه « يوميات نائب فى الأرياف » الذى ألفه بعد أن كان وكيلا للنائب العام . يقرأه الإنسان فيحس إحساساً عميقاً من قرارة نفسه أن الأستاذ الحكيم فى هذا الكتاب أديب وفيلسوف ... تارة يتهكم على بعض مفارقات الحياة ، وتارة أخرى يسمو بفكرته ويحلق بالقارئ فيخيل إليه أنه فى قلب المحكمة يسمع ويرى المتقاضين والمتهمين ، ويعالج بقلمه بؤس الفلاحين فيؤكد لنا أنه يعيش فى دنيا الناس لا فى دنياه هو كما تقول ! .

فهل للأستاذ أن يتناول بقلمه الرائع لمحة خاطفة عن شخصية الأستاذ الحكيم فى كتابه « يوميات نائب فى الأرياف » ، الذى يصدره بتلك الكلمات : « أيتها الصفحات التى لن تنشر ، ما أنت إلا نافذة مفتوحة أطلق منها حريتى فى ساعات الضيق » ؟.

محمد رضوان
كلية الحقوق بجامعة فؤاد

الفن فى ميزان القلب والشعور :

إن كلمتك التى طالعناها فى « الرسالة » عن الأستاذ توفيق الحكيم رغم قصرها وتركيزها قد أطلعتنا على كثير من الحقائق والقيم التى لم يطلعنا عليها كاتب من قبل ، إننا نهنئك من أعماق نفوسنا على أنك لم تتأثر فى نقدك — كما يفعل الغير — بالصداقة وما تفرضه من مجاملات ! ولكن الحقيقة الكبرى التى أحب أن تفسرها لنا تفسيراً كاملا وصريحاً هى قولك : « صراع نفسى وهذا هو العجب ، وقلب إنسانى وهذا هو الأعجب » ... هل نفهم من هذه اللمسة السريعة العابرة أن الأستاذ توفيق الحكيم لا يهتز بين جنبيه قلب قوى الخفقات مكتمل النبضات ؟ إن هذه النقطة هى أهم ما يجب أن تكشف لنا عنه فى كلمات حاسمة وفاصلة ، لأنها فى الواقع مثار كل خلاف بين أنصار فن الأستاذ الحكيم وبين خصومه ! .

مصطفى عبد العليم
دبلوم معهدى الصحافة والتربية

ناحيتان جديرتان بالبحث والدراسة بعد أن عرض لهما فى هاتين الرسالتين أديبان فاضلان ... الواقع أننى كنت أشعر وأنا أكتب عن الأستاذ توفيق الحكيم أن هناك قراء سيدفعهم التركيز فيما كتبت إلى شىء من الاستفسار ، لأننى كنت أحرص كل الحرص على إبراز القواعد العامة وأعنى كل العناية برسم الخطوط الرئيسية . ومرجع هذا إلى أن الأديب الفاضل الذى رغب إلىّ أن أكتب فى هذا الموضوع ، قد ألزمنى أن أدور حول هذا الهدف وأن أتحدث فى حدود هذا النطاق ... وإذن فلا بأس من العودة إلى ما سبق أن عرضت له من آراء وأحكام ، لأتناول بالتوضيح بعض ما لم يتضح عند الإشارة العامة واللمحة العابرة ، ليلتقى فى رحاب الشرح والتفصيل ما غمض فى رحاب الإيجاز والتركيز ! .

أول شىء أقرره فى مجال الرد على الرسالة الأولى هو أننى أوافق صاحبها على ما أبداه من رأى فى شخصية الأستاذ الحكيم الأدبية ... الواقع أن هذا الفنان مهما وجه إليه من نقد ومهما أخذ على فنه من نقص ، فستبقى حقيقة يقررها كل منصف حين تؤرخ هذه الفترة من أدبنا العربى المعاصر ، وهى أن توفيق الحكيم هو واضع الدعامة الأولى للأدب المسرحى الحديث فى مصر . قد يأتى بعده فى هذا الجيل أو الجيل الذى يليه من يرفع البناء الفنى

لهذا الأدب طبقات، ولكن توفيق سيظل في ميزان التاريخ الأدبي هو الباني الأول والموجه الأول، فلولاه لما كان عندنا قصة فنية، ولما كان عندنا مسرحية ناضجة، ولما كان عندنا نفر من كتاب الشباب يستطيعون أن يحملوا الراية حين يخلو لهم الميدان... إن لم يكن اليوم ففي الغد القريب على كل حال. والفضل كل الفضل لأن هذا الفنان قد حمل المشعل منذ سنين فأنار الطريق، ودفع السالكين بكلتا يديه إلى الأمام!.

إنني حين أعلن أن بعض جوانب هذه الشخصية الأدبية لا يرضيني فليس معنى هذا أن توفيق الحكيم يقف وحده في مجال القصص والقصور، كلا... فما يسلم كاتب في الشرق ولا في الغرب من هذا الذي يأخذه النقد على توفيق الحكيم! إن «أوديب الملك» التي أخرجها منذ شهور لم تبلغ الغاية التي كنت أرجوها من كاتب يدرك تمام الإدراك ما ينتظره من صعاب وهو يطرق أبواب سوفوكليس، ولكن هذا العمل الفني الذي أخفق فيه توفيق الحكيم وهو يواجه عميد التراجيديا اليونانية يسمو فوق مستوى أمثاله عند من حاولوا نفس المحاولة من كتاب المسرحية في أدب الغرب، وسأقف في كل وقت وفي كل مكان لأقول إن «أوديب» توفيق الحكيم أفضل بكثير من «أوديب» جان كوكتو وأندريه جيد!

بعد هذا أعود فأقول للأديب الحقوقي الفاضل إنني حين قلت عن توفيق الحكيم إنه يعيش في دنياه هو لا في دنيا الناس كنت أرمى إلى أدبه المسرحي لا إلى هذا الأدب الذي يدخل في باب اليوميات... إن الكتاب الذي أشار إليه لا يعد قصة بالمعنى المفهوم من القصة، ولكنه مشاهدات نقلها الأستاذ الحكيم من واقع الحياة إلى الفن بعد أن لونتها ريشة القصاص بألوان العرض الفني الذي يأخذ من القصة ثوبها الخارجي ولا يتعداه. ومع ذلك فأنا أحب أن أوضح نقطة تدخل في صميم هذا الجانب الذي نبحث فيه، وهو أن توفيق الحكيم قد مضى يعالج فن المسرحية في الوقت الذي ابتعد فيه عن الحياة وانطوى على نفسه. إنك عند ما تقرأ أعماله الفنية الأولى التي سجلها ليصور بها تلك البيئات المختلفة التي عاش فيها بالجسم والفكر والروح والحواس نلمس أن الحياة تتنفس تنفساً عميقاً في فنه، وأن عدسة القصاص قد بلغت من دقة اللقطات ما لا يتهيأ إلا لكل فنان مفتوح العينين والقلب والذهن... اقرأ مثلا «عودة الروح» و«يوميات نائب في الأرياف» تحس أن الحياة فيهما تكاد تنتفض بين يديك وتتحرك أمام ناظريك؛ تنتفض بمواكب لا تحصى من الصور النفسية والنماذج البشرية! لقد كانت العدسة البارعة تنتقل من الشوارع إلى الأزقة، من المدينة إلى القرية، من القصر إلى الكوخ: ترقب، وتتأمل، وتسجل... وإذا حرارة التعبير قد ارتفعت لتلفح إحساسك على الورق، وإذا لمحة الخاطر قد استحالت فكرة في ثنايا العرض، وإذا ركب الأحياء قد انتقل في حركة نابضة إلى السطور والكلمات!

لقد كان توفيق الحكيم يحب الحياة حباً إن صح هذا التعبير ويوم أن كان يطل على ميدان الحياة الفسيح المتراى أمام عينيه كان يطل من نافذة مفتوحة، هي نافذة الحواس المتحفزة لالتقاط كل ما تقع عليه من صور في دقة ووعى وانتباه، وهذه هي الفترات المستيقظة في فن توفيق الحكيم... فترات مستيقظة نقلت عن كتاب الحياة سطوراً فيها عمق وروح وأصالة، فإذا «عودة الروح» و«يوميات نائب في الأرياف» نسختان أمينتان تتمضى عينيك بعد الفراغ منهما لتبدأ الحياة سيرها في دروب النفس ومسارب الشعور، ولا بأس من أن تغمض عينيك فإن الصورة قد انطبعت على صفحة الفكر والخيال!... هذا هو الفن الرفيع حين يتصل بالحياة وحين يقبس من الحياة، ليعيدها إليك لوحة تكتمل فيها الزوايا وتأتلف الأبعاد.

في حي السيدة زينب جلس توفيق الحكيم إلى مائدة الحياة فتذوق من ألوان الطعوم ما شمت رائحته في «عودة الروح». وفي مدينة دسوق قضى فترة من شبابه وكيلا للنائب العام، يتحدث إلى الحياة وتتحدث إليه، حتى نقل إليك حديثهما ذلك الظل النابض في «يوميات نائب الأرياف».. وفي مدينة النور قدمت إليه الحياة كأساً غير الكأس وسقته من رحيق غير الرحيق، وكان مذاق هذه الكأس الجديدة هو تلك الجرعة اللاهبة في «زهرة العمر» و«عصفور من الشرق». في كل عمل من هذه الأعمال الفنية خامة قصصية تستمد نفاستها من هذا المعدن الممتاز الذي لا يخبو له ضوء... معدن الحياة!

ولكن توفيق الحكيم ينتقل من حال إلى حال... يغلق النافذة المفتوحة التي كان يطل منها على ميدان الحياة الفسيح المتراى أمام عينيه، وكأني به قد سئم ضجيج الحياة والأحياء! ولا بأس عنده من أن يرقب هذا المسرح الزاخر بالنظارة والممثلين

من وراء هـذه النافذة ذات الزجاج « المصنفر » الذى يحجب الرؤية من الأنظار ، ولـكن هذا الزجاج « المصنفر » لا يتيح له الرؤية الـكاملة لتلك الفصول المتعاقبة من رواية الحياة ...

وإذن فلا مناص من الرجوع إلى الخيلة فى تمثل حركات النظارة والممثلين ! وهنا مفرق الطريق بين عهد وعهد فى أعمال توفيق الحـكيم الفنية ... فن يأخذ مادته من الحياة فى فترة من فترات شبابه ، وفن آخر يأخذ مادته من الخيلة فى فترة من فترات ما بعد الشباب ، ويسدل الستار أو يكاد على تلك الألوان التى تستمد عناصرها ومقوماتها من واقع الحياة ، ليرفع مرة أخرى عن تلك الألوان التى تستمد عناصرها ومقوماتها من واقع الأساطير ! ...

قد يقول بعض النقاد إن الأسطورة فى فن توفيق الحـكيم مرجعها إلى أنه يريد أن يحلق فى كل أفق ويريد أن يطرق كل ميدان ؛ وقد يبدو هذا التفسير مقبولا لو كان هناك شىء من الاقتصاد فى العمل الفنى الأسطورى ولـكنه إغراق له دلالته ومعناه ، وأبلغ الدلالة فيه أن توفيق الحـكيم قد ابتعد عن الحياة وأن الحياة قد ابتعدت عنه ، وحين غاب عالم الصور الحية عن ناظريه لجأ إلى عالم الرؤى والأطياف ؛ عالم الخيلة التى ترتب المنظر ، وتحرك الشخوص ، وتصنع الحوار ، من وراء النافذة المغلقة لا فى رحاب الهواء الطليق !

ومن يدرى ؟ فلعل توفيق الحـكيم يعود مرة أخرى إلى الحياة بعد هذا الهجر الذى طال أمده واتسع مداه ، ولعله يكون قد عاد فى هـذه المسرحية التى تعرض منذ أيام على مسرح الأوبرا الملـكية ... إننى لم أشاهدها بعد ، وأرجو إذا ما شاهدتها أن تتحقق هذه الأمنية التى أنتظرها منذ بعيد ، وهى رؤية فن توفيق يصب الحياة صبا كما كان . عندئذ سألهب قلبى من الإعجاب وكفى من التصفيق !

بعد هذا أعود إلى الرسالة الثانية لأقول لصاحبها إن مسألة القلب الإنسانى فى فن توفيق الحـكيم هى مشكلة المشكلات ... هل يملك قلباً إنسانياً أم لا يملك ؟

هذا هو السؤال ! إنه يملك هـذا القلب ، ولـكنه القلب الذى لا يفتح على مصراعيه لتندفع النبضات قوية جياشة متدفقة . إنه قلب يفتحه صاحبه للحياة بمقدار ، ويفتحه للناس بمقدار ، ويفتحه للفن بمقدار ... وفى غمرة هذا الضعف فى الخفقة القلبية تطغى الموجة الفـكرية والومضة الذهنية ، هذا الطغيان الجارف فى قصصه ومسرحياته !

فى « عودة الروح » و « زهرة العمر » و « عصفور من الشرق » و « الرباط المقدس » و « شهرزاد » و « بجماليون » و « أهل الـكهف » تحس إحساساً عميقاً أن نافذة القلب الإنسانى فى فن توفيق الحـكيم لم تـكن تفتح لتهب منها رياح الوجـدان ، حتى تعود فتغلق أمام عواصف الفـكر المنبعثة من تأملات الذهن وشطحات الخيال ! أما فى « سليمان الحـكيم » فقد انتصر القلب على العقل ... وهـذه هى المعجزة التى دفعتنى إلى القول بأن هذه المسرحيـة تقف منفردة بأ كمل « الصراع النفسى » وقوة النبضات فى القلب الإنسانى ، ودفعتنى إلى الظن بأن توفيق الحكيم كان يعيش فى نفس التجربة الشعورية التى صورها بقلمه لقلب « بلقيس » بين حب « منذر » وجاه « سليمان » ! . . . من هنا قلت وأنا فى معرض الحديث عن « سليمان الحـكيم » : « صراع نفسى وهذا هو العجب ، وقلب إنسانى وهـذا هو الأعجب » ؛ لقد كان مصدر العجب البالغ أن توفيق قد خلا إلى قلبه خلوة طويلة ، تمت فى غفلة من عين هذا الرقيب الصاحى الذى لا يغفل ، وأعنى به الفـكر !

إن الفن فى ميزان الذهن المجرد شىء ، وفى ميزان القلب النابض شىء آخر ؛ هناك هزات فـكرية ، وهنا هزات شعورية . وما أبعد الفارق بين الفنين فى حساب النفس وحساب الزمن ! .

رفاع مضحك عن سلامة موسى :

لى صديق أديب هو فى الوقت نفسه صديق الأستاذ سلامة موسى ، ولـكن يظهر أن إخلاصه للـكاتب (الجبار) يفوق إخلاصه لى ... والدليل على ذلك أنه كتب فى الرد على مقالين أحدهما فى « الأديب » والآخر فى « المقتطف » ، حاول بهما بكل ما أوتى من علم أستاذه أن يرفعه إلى السماء ؛ ولـكن السماء كانت قد امتلأت بضحكات الساخرين فلم يبق فيها مكان للـكاتب الجبار فبقى كما تركته منذ أسابيع .. على الأرض !! إن سلامة موسى فى رأى تلميذه الذى لا أعرف له تلميذاً سواه « مفخرة خمسة أجيال فى تاريخ مصر ، وإذا كان لـكل كاتب مدرسة فإن المدرسة الأولى للدكتور طه حسين بك بلا منازع ، والمدرسـة الثانية منسوبة إلى الأستاذ سلامة موسى بغير شك » ... هكذا والله العظيم ! ولو سئلت النملة رأيها فى الذبابة لقالت : هـذا فيل كبير ! ! .

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

أين هو الربيع :

حفلت الصحف والمجلات المصرية فى هذا الأسبوع بالكلام على الربيع وبصور الربيع ، وتفنن بعضها فى عرض صور الحسان فهذه تختنع للربيع ، وهذه تنفر ليصف الشاعر الفتنة النائمة ، وهذه تتحدى أزهار الربيع بما تبدى من مفاتن . وترى هنا وهناك قصائد يتغنى فيها الشعراء بالربيع وما يسبغ على الكون من جمال .

ذلك كله على رغم هذا الجو المتقلب الذى لا يستقر على حال وعلى رغم هذه الرياح ، رياح الخماسين ، التى تقذى العيون وتزكم الأنوف . فأين هو الربيع ؟ إن هذا الجو الكدر المضطرب سينقلب بعد قليل إلى حر لا يطاق .

إذا كان للربيع وجود فهو فى بلاد أخرى غير مصر ، شرقية وغربية ، وهم يشعرون به لأنه يأتى عندهم بعد شتاء قاس ، وينتقل فيه الجو ببطء وتدرج ، أما عندنا فهو انتقال من شتاء معتدل ، وإيذان بصيف ثقيل ، وهو فترة مضطربة لا يستقر فيها الجو على حال . وإنى أشعر أن الخريف عندنا أجمل من الربيع ، فهو يقبل بعد الصيف كما تقبل نسمات الأصيل بعد الهجير ، والجو فيه أكثر استقراراً من الربيع ، ولم أر فيه شجراً يسقط ورقه كما يقولون ، فالشجر فى مصر دائم الإيراق وقليل منه يسقط فى الشتاء ، والأزهار كثيرة ناضرة فيها على مدى العام ، وحتى صور الحسان فى الصحف والمجلات لا تنقطع لها مناسبة ...

فما نصيب تلك المظاهر التى نصطنعها فى الربيع من الصدق؟ أليست كلها تقليداً فى تقليد ؟ وكم من شاعر يتغنى بجمال الربيع وليس فى عالمه إلا جدران قهوة أو غرفة مغلقة ، ويتحدث عن الحب فى الربيع وهو لا يحب غير نشر القصيدة أو إلقاؤها فى حفل ، ويشيد بشدو الطيور وهو لا يسمع غير ما يطلبه المستمعون من الإذاعة ...

إن الربيع الحقيقى فى مصر هو (البرسيم) ربيع الحمير ...

ذكرى اقبال :

احتفت سفارة الباكستان فى القاهرة بالذكرى الحادية عشرة للشاعر الفيلسوف محمد إقبال ، يوم الخميس الماضى فى القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية . وقد ألقى سفير الباكستان الحاج عبد الستار سيت كلمة ترحيب ، وألقى الدكتور حسين الهمدانى محاضرة عن حياة الشاعر وشعره ، وألقى الدكتور عثمان أمين محاضرة عن « إقبال الفيلسوف » وأنشد كل من الشاعرين محمود حسن اسماعيل ومحمد مصطفى حمام قصيدة ، وألقى آخرون كلمات أخرى .

وقد تضمنت كلمة الدكتور الهمدانى أن إقبال ولد سنة ١٨٧٣ فى عائلة براهمية تشتغل بالزراعة فى قرية (لوهار) بكشمير . وبعد أن أتم تعليمه فى المعاهد الهندية لم يلتحق بخدمة الحكومة لضعف بصره فتفرغ للأدب والشعر . ثم رحل إلى أوربا سنة ١٩٠٥ قاصداً كمبردج ثم هيدلبرج بألمانيا ثم ميونخ حيث حصل على شهادة الدكتوراه نتيجة لرسالة قدمها بعنوان « تطور الفكرة العقلية فى إيران » وفى سنة ١٩٠٨ حصل على شهادة فى القانون وعاد إلى وطنه .

وقال إن إقبال عندما اقتحم باب الشعر ألفى الوخم والكسل والقنوط مخيمة على حياة الناس كافة كما وجد روح التشاؤم سائداً من جراء الاستعمار ، فأيقظ قومه وبعث فيهم الكفاح والحياة ، ومزق الأستار التى كانت تحجب الحقائق عن أعين الشعب . ولم يقتصر على الخيال والجمال الفنى فى شعره بل راح يجاهد ويهيب بقومه أن يقلعوا عن أفكارهم القديمة ويتجردوا من روح التواكل الذى كان يشيع بينهم . وقد نادى بوجوب انفصال المسلمين عن الهندوس وتكوين دولة خاصة بهم ، فتحققت أحلامه بعد وفاته وقامت دولة الباكستان .

وقد ألقى سعادة السفير كلمته بالإنجليزية ، ومما يذكر لذلك أن فى الباكستان الآن حركة تهدف إلى نشر اللغة العربية ، فقد تقرر تعليمها بالمدارس الباكستانية على نطاق واسع ،

وجاء في نشرة لسفارة الباكستان بالقاهرة أن متحدثاً بلسان وزارة المعارف الباكستانية قال إن الحروف العربية أثبتت تفوقها على الحروف الأردية ، وقد عرف المؤيدون لاستعمال الحروف العربية أن ذلك يدعو إلى توثيق العلاقات بسائر الأمم الإسلامية ، كما أنه يعتبر الوسيلة الفعالة للنهوض بالتجانس الثقافي وتوحيد الغايات إلى المستقبل القوى .

ومما يذكر أيضاً أن رجال الدولة في الباكستان ضربوا المثل بأنفسهم فجعلوا يتعلمون اللغة العربية . ولا أشك في أنه لن يطول الأمد حتى يلقى سفير الباكستان بالقاهرة كلمته في ذكرى إقبال باللغة العربية .

المصري أفندي :

هو الفلم الذي عرض في الأسابيع الأخيرة بسينما مترو بالقاهرة ، وقد ألف قصته محمد كامل حسني ، وأخرجه ومثل البطل الأول فيه حسين صدقي وممن اشترك معه في التمثيل إسماعيل يس ومديحة يسرى ولولا صدقي . ويعالج الفلم قضية إنسانية في صور من البيئة المصرية ، تلك هي مشكلة الأولاد وحالة الأب المعيشية ، فالمصري أفندي (حسين صدقي) شاب فقير يرزق أو « يصاب » بأولاد كثيرين ، توائم وغير توائم ، من زوجته (مديحة يسرى) وتمر الأسرة بشدائد تجعل الوالد يضيق بأولاده ، ويكاد يتحطم عند ما يفاجأ بثلاثة توائم . ثم تنجاب الشدائد ويقبل المال وتتبدل الحال غير الحال ... ولكن الأحداث تذهب بالأولاد ولا يبقى إلا ابنة واحدة (عيشة) التي تصاب بمرض شديد فلا تشفى منه إلا وهي مقعدة . ويصبح الوالد من كبار الأغنياء ولكنه في الوقت نفسه أكبر الأشقياء ، فقد هده الحزن على أولاده وخاصة حسن الذي اختفى ولم يُعرف له مقر ، وتنتهي الرواية باللقاء بين الولد المفقود الذي صار شاباً وبين والديه المحطمين والأخت المقعدة التي تذهلها المفاجأة السارة عن حالها ، فتهب واقفة تمشي نحو أخيها حسن ...

ويعرض الفلم صوراً رائعة من الحب الزوجي والتعاون بين الزوجين في الملمات ، إلى جانب ما يبينه من تفاهة المال وعدم جدواه في السعادة الحقيقية . ويمتاز الفلم بالروعة الأصيلة ، والوصول إلى الأهداف من

كشكول الأسبوع

◻ أقول للسائلين عن افتتاحيات عميد الرسالة : إن الأستاذ رأى — عملا بمشورة الأطباء — أن يمسك عن الكتابة لفترة وجيزة ، ونرجو أن يستعيد فيها نشاطه ويستكمل صحته .

◻ الذي فاز بجائزة فؤاد الأول للآداب هذا العام ، هو الدكتور طه حسين بك عن كتاب « هامش السيرة » .

◻ قرر مجلس الوزراء تعيين الشاعر الكبير الأستاذ علي محمود طه وكيلا لدار الكتب المصرية

◻ تبين أن بعض القصص والتمثيليات الفائزة في مسابقة الإذاعة غير صالحة للإذاعة ... فلم إذن حكم بفوزها وإجازتها ؟ ألكثرة النقود ؟ وماذا ستقول إدارة الإذاعة لديوان المحاسبة ؟

◻ جرت رابطة الأدباء على منح الألقاب جزافاً لمن يحاضرون بها ، ومن ذلك « صاحب العزة مبارك بك إبراهيم » والأستاذ مبارك إبراهيم أديب فاضل ولكنه ليس (بك) وهو وكيل الرابطة ، ونعم الوكيل ... وقد تحدث في محاضرته عن زجال صعيدي اسمه « أبو عليوة » .

◻ حدث في الحلقة النهائية لمبارزة السيف العالمية التي جرت في مصر أخيراً ، أن تقدم اللاعب الإيطالي الفائز لمصافحة منافسه الفرنسي ، فاستقبله هذا المنافس بضربة قوية ... لو حدث هذا من مصري أو أي شرقي لقامت صحف العالم الغربي تندد بالوحشية والبربرية . وبعد فنحن ننتظر هذا الفرنسي « المتمدين » تحية الصحف بلاده التي كانت تشهر بمصر والمصريين .

◻ تقرر أن يحتفل بالذكرى الألفية لابن سينا في مارس من العام القادم ببغداد . وتعمل الجامعة العربية على طبع ما لم يطبع من مؤلفات ابن سينا ، كما تعمل على تنسيق العلاقة بين احتفالها بذكراه واحتفال إيران بها في العام القادم أيضاً .

◻ قررت نقابة الصحفيين دعوة بعض رجال الصحافة القدماء ممن اعتزلوا العمل بالصحافة أمثال هيكل باشا وحافظ عوض بك ، إلى إلقاء محاضرات عن ذكرياتهم الصحفية ، على أن يتحدث بعضهم عن بعض .

◻ وافقت اللجنة المالية بمجلس النواب على زيادة إعانة الفرقة المصرية من ١٣ ألف جنيه إلى ٢٠ ألف جنيه ، وزيادة المبلغ المعتمد للتأليف المسرحي من ١٥٠٠ جنيه إلى ٣٠٠٠ جنيه ، واعتماد ثمانية آلاف جنيه في ميزانية وزارة الشؤون الاجتماعية لتأليف فرقة من بين خريجي معهد التمثيل العالي يطلق عليها « فرقة الطليعة » .

◻ رفع أحد المؤلفين دعوى على إحدى المجلات أمام محكمة مصر التجارية ، لأنها نشرت فقرات من كتاب له ، فقضت له المحكمة بخمسين جنيهاً تعويضاً من صاحب المجلة ، مقررة بذلك حق الملكية الأدبية .

◻ تعلن الفرقة المصرية عن رواية « سر الحاكم بأمر الله » فتهمل اسم مؤلفها الأستاذ أحمد علي باكثير ، ولكنها لا تستطيع ذلك في الإعلان عن مسرحية « اللص » للأستاذ توفيق الحكيم .

فهل هي أرستقراطية فنية ...؟

طريق المرض النفسي من غير إشعار بوعظ ، والخلو من التهريج والحشو ، والفكاهة فيه طبيعية غير مقحمة ، ويبلغ فيه اسماعيل يس غاية الظرف ، وهو يؤدي دور الفتى الذي لا يشعر بحاجة إلى تنمية المال حتى يولد له ولد بعد انتظار طويل ، وكانت المفارقة أن يقترن هذا بما يتوالى على (عديله) المصري أفندي الفقير من الأولاد وهو في شوق ولو إلى نصف ولد ...

و « المصري أفندي » فلم عظيم من غير شك ، وهو يأتي الآن في هذه المرحلة من مراحل الفن السينمائي في مصر ، كما أتى فلم « العزيمة » لحسين صدقي أيضاً في المرحلة الأولى ، كل منهما ينقل هذا الفن إلى « الموضوعية » مصاغة في قالب من الفن الممتع الشائق . وقد تعمدت أن أغفل فلم « نحو المجد » الذي أخرجه حسين صدقي أيضاً ، لأنه وإن كانت قصته جيدة إلا أن هناك أشياء أفسدته ، منها إقحام « شكوكو » في الفلم من غير مناسبة فجاء ثقيل الظل .

وفي فلم « المصري أفندي » هنات قليلة ، منها (الصبوع) الذي احتفل فيه بولادة الولد الأول للمصري أفندي ، ومنها (رجيلاتك وحلقة في وداناتك) لا تتفق مع استنارة الزوجين وعصريتهما ، وقد تم زواجهما على طريقة عصرية في غاية البساطة .

الأدب وغذاء العقل في الصحافة :

ألقى الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني محاضرة عن « الصحافة المصرية في ربع قرن » يوم الجمعة الماضي بالجامعة الأمريكية ، عرض فيها للصحافة في طورها الأول ثم قال : وفتحت الصحف صدورها للأدباء فصاروا ينشرون فيها شعرهم ونثرهم ، وكانت أسبق الصحف إلى ذلك — على ما أذكر — جريدة الدستور لصاحبها الأستاذ فريد وجدي بك ، وكان عونه في هذا الباب هو الأستاذ العقاد ؛ وجريدة « الجريدة » التي كان يتولى أمرها الأستاذ الجليل لطفي السيد باشا ، وقد استعان بجمهرة من الأدباء منهم المرحوم محمد السباعي ؛ ثم تلتها جريدة المؤيد فجعلت القسم الأدبي صفحة خاصة وكلت أمرها إلى الأستاذ العقاد .

ثم انتقل إلى الصحافة في طور تقدمها الحديث ، وقال : وقد جر هذا الرقي الصحفي إلى أمور يشكو منها العقلاء والمشفقون منها أن كثرة المادة في الصحف والمجلات وتنوعها وحسن عرضها وقرب منالها ، كل ذلك صرف الكثيرين عن قراءة الكتب ، وعودهم الاكتفاء بهذه المادة السهلة الميسرة ، وهذا شر كبير لأنه لا غنى عن غذاء العقل كما أنه لا غنى عن الغذاء للبدن ، ومادة الصحف لا تكفي لتغذية العقل .

يقولون لي :

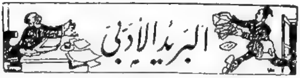
يقول الأديب محمد فتحي سعيد بمدرسة دمنهور الثانوية (وقد وصلني كتابه منذ أسابيع ولكني رأيت أن أعود إليه) : قلت فيما كتبته رداً على الأستاذ الأسمر « ليست هذه أول مرة يأخذ فيها الجارم من شعر شوق » ومعنى ذلك أن الجارم كان يسطو على شعر شوقي ولكننا نعرف عن الجارم أنه شاعر فذ وأديب مجيد . إلى أن يقول : وجدير بنا الآن أن نترحم على الجارم بعد ما استعصى على الشعراء رثاؤه .

وأقول : إن الوقوع في سرقات أدبية لا ينافي الإجادة والشاعرية الفذة ، وقد ألفت كتب في سرقات شعراء كالمتنبي ، وقد وصل الأمر إلى الاغتصاب مع إكراه الشاعر القائل على أن يتنازل عن ملكية ما قاله مفاداة لعرضه من هجاء المتعصب . والدلالة على السرقة الأدبية لا تنافي أيضاً الترحم على الفقيد ، وعند ما تتقدم في الدراسة الأدبية سترى في باب السرقات بكتب الأدب أن كل السارقين المذكورين في هذه الكتب قد ماتوا .. رحمهم الله ...

ويقول لي الأديب الشحات السيد زغلول (مدرسة رأس التين الثانوية — توجيهية آداب) : منّ الله علي بالنجاح فهممت بقلمي لأكتب لك وأزف إليك تلك البشرى ، كأنك ممن يهمهم أمري وممن يسرون لنجاحي :

وقد يبدو لبعض القراء أن هذا « القول » تافه ، ولكنه ليس كذلك ، فهو تعبير عن شعور . إن الطالب الأديب « الشحات السيد زغلول » دائب على قراءة «الرسالة» وقد كتب إلىّ قبل ذلك ، وهو يشعر من طول الملازمة الفكرية كأني من أسرته ... وحقاً لقد سرني نجاحه كأني ممن يهمهم أمره . نجاح مبارك يا سيد شحات ...

ويقول لي الأستاذ أحمد طه السنوسي : اطلعت على كلمة لكم



في تفسير الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده :

ترتيب آيات الكتاب العزيز حصل بتوقيف من الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، على ذلك انعقد الإجماع ، فكان الرسول إذا نزلت عليه الآية وتلقاها من جبريل الأمين لقنها أصحابه فوعتها صدور الحفظة منهم ، وأمرهم بأن تكون مع آية كذا من السورة التي تكون فيها الآية ، وإن كان ذلك على خلاف ترتيبها في النزول . وعلى أساس هذا الترتيب الذي أرشد إليه الرسول قام بناء نظم القرآن المعجز ، وأحكمت آياته ، وتوثقت معانيه واتسقت كلماته .

وأما ترتيب السور فيرى كثير من العلماء أنه توقيفي كترتيب الآيات وقال آخرون إنه عن اجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم . وسواء أكان الترتيب بين السور بتوقيف من الرسول أم كان عن اجتهاد من الأصحاب ، فما لا شك فيه أن اتفاق جمهور الصحابة على هذا الترتيب المعروف الذي عليه المصحف العثماني أمر له قيمته ومعناه ، وليس يخفى على ذوي البصائر من أهل العلم والذوق سره ومغزاه ، وإن لم يكن على حسب ترتيب السور في النزول ؛ فالترتيب بين السور كالترتيب بين الآيات ليس مبنياً على ترتيبها في النزول ولكنه قائم على ما بينها من الروابط والمناسبات .

وإدراك ما بين الآيات وما بين السور من صلة ومن مناسبات يحتاج إلى علم جم ، وطبع ملهم ، وشعور مرهف ، وبذلك اختلفت أنظار العلماء وتفاوتت مداركهم . ولقد كان للأستاذ الإمام القدح المعلى والسبق في هذا الميدان ، يعرف ذلك بالاطلاع على تفسيره جزء (عم) .

أسوق هذا لمناسبة ما كتبه الأستاذ محمد عبد الله السمان في الرسالة — عدد ١٨ ابريل — رداً لما قرره الأستاذ الإمام في تفسيره (جزء عم) من بيان المناسبة بين سورة (الليل) وسورة (الشمس) ، إذ اختلط الأمر على الكاتب والتبست عليه المناسبة بين السورتين والمناسبة بين القسم والمقسم عليه في (سورة الليل) فقال ما نصه :

(جاء في تفسير جزء عم للأستاذ الإمام — رحمه الله — عند تفسير أول سورة الليل ما يأتي (والليل إذا يغشى) يعني في هذه السورة بأن يقسم بالليل وهو الظلمة لأنها الأنسب بما ختمت به السورة السابقة — سورة الشمس — من الدمدمة وإطباق العذاب .. اه (ولم يذكر بقية المناسبة) ، ثم قال : والمعلوم أن سورة الشمس سابقة لسورة الليل في الترتيب لا في النزول ، إذ أن سورة الليل نزلت بعد سورة الأعلى (لعله يريد أن يقول إن سورة الليل نزلت قبل سورة الشمس) ، وبذلك يكون لا محل هنا لذكر المناسبة التي ذكرها الإمام . أما المناسبة فلما كان المقسم عليه هو تقرير اختلاف سعي الناس في الحياة اشتملت صيغة القسم على أشياء مختلفة لتركيز المعنى المقصود في عقول المخاطبين .. فقد أقسم بالليل والنهار في قوله (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى) وهما مختلفان — كما أقسم بخالق الذكر والأنثى في قوله (وما خلق الذكر والأنثى) وهما مختلفان أيضاً ، كأنه يريد أن يقول لهم : إن اختلاف سعيكم في الحياة مؤكد تأكيد

تحت عنوان «نصف مليون جنيه يصدع رأس الدولة» في الرسالة الغراء ، فأحببت أن أكتب شيئاً عن ذلك (الروتين) العجيب ، وإن له مساوئ ، ولكنها طريفة تفتر لها الأفواه عن بسمات ، وقد صارت هذه البسمات أيضاً من (الروتين) — كثيراً ما ترسل المصالح الحكومية خطابات مسجلة إلى أفراد من الناس تطالبهم فيها بمبالغ قد تكون عشرة مليمات أو سبعة ، وتنفق على الخطاب ثمانية عشر مليما !

ويقول لي الأستاذ الشاعر محمد المديني : إن الأبراج المقدسة لم تدع لنا إلا آمالا في أمثالكم الذين يهيئون لأنفسهم مكانة عند أمثالنا ...

وأقول له : إن «رغبتنا» في المكانة عند أمثالكم لا تجديكم شيئاً ... كما أننا لم نستفد من رغبة أحد في مكانة لدينا ...

عباس خضر

اختلاف الليل والنهار والذكر والأنثى ..) اه

وأعود فأقول إن الكاتب قد وهم فى رد ما قرره الأستاذ الإمام ، إذ توهم أن ترتيب السور مبنى على ترتيب النزول وأن المناسبة بينهما تتبع ذلك ، وإذ توهم المناسبة بين المقسم عليه والقسم مناسبة بين السورتين ، فالتبس عليه الأمر . ووهم أيضاً فى زعمه أن المقسم عليه هو تقرير اختلاف سعى الناس فى الحياة فحسب ، وأن الغرض من القسم تركيز هذا المعنى المقصود فى عقول المخاطبين . ذلك بأن المقسم عليه هو الإجمال والتفصيل معاً فى قوله تعالى (إن سعيكم لشتى ، فأما من أعطى واتقى) .. الخ ، وأن المقصود من القسم هو تقرير المعنى الإجمالى والتفصيلى فى النفوس وتأكيده حتى لا يرتاب أحد فى أن عواقب الخير والجزاء عليه ليست كعاقبة الشر وجزائه . وقد أوضح الأستاذ الإمام هذا المعنى أتم إيضاح إذ يقول : (فإن خطر لك سؤال كيف يقسم سبحانه على أن سعى الناس شتى مختلف مع أن هذه القضية بديهية لأن جميع من يفهم الخطاب يعلم أن مساعى الناس وأعمالهم مختلفة متنوعة إلى هذه الأنواع التى ذكرت ، ومثل هذا الخبر البديعى لا يحتاج إلى تأكيد ، بل الإخبار به غير مفيد — فإنى أجيبك أولا بأن المقسم عليه هو الإجمال والتفصيل معاً ؛ ولاشك فى أن الوعد على الإعطاء والتقوى والتصديق بالحسنى بالتيسير لليسرى ، والوعيد على البخل والاستغناء والتكذيب بالحسنى ، بالتيسير للعسرى ، يحتاج إلى تأكيد ، فيكون التأكيد لمجموع الأخبار للأول منها فقط) .. فما ذكره الكاتب من الرد والتعليل بعيد عن الصواب .

محمد أحمد العمراوي

المرحوم خليل بيدس :

سلاماً وإكراماً ، وبعد فلا بد أنك سمعت بخليل بيدس وعلمت من هو من الناس .

لقد مات خليل بيدس وكل الناس يموتون . بيد أنه أبى ، ويشق على أن أنعاه إليك فى مثل هذا الوقت وفى بلاد غير البلاد التى أحبها وتمنى على الله أن يكون فيها مثواه الأخير

مات أبى بعيداً عن بيت المقدس . وكان أخى قد رجا منه أن يغادرها أسوة بسواه فينقذ نفسه وينجو بمكتبته وأثاث منزله . ولكنه أبى وسفه رأى كل محبذ للفرار ، وأكد للجميع بأن الجيش العربى سوف لا يتأخر من احتلال القدس فى ليلة ١٥ أيار سنة ١٩٤٨ . كان يؤمن بذلك إيماناً عظيماً ... ويسخر من كل من يرتاب بنوايا الملك عبد الله . بيد أن الملك عبد الله خيب الأمل ، وسقطت القدس الجديدة فى يد العدو . وكان أبى وابنته هما الشخصين الوحيدين الباقيين فى حى البقعة ، فانسحبا على أثر احتلال اليهود للتلال المشرفة على ذلك الحى ، وكابدا فى هربهما المشقات والأهوال .

ولما استقر به المقام فى بيروت ، وأجال الطرف حوله ، فلم يجد كتبه ومخطوطاته ومؤلفاته ، ولم يعثر على مقعده ومكتبه ، طارت نفسه شعاعاً ؛ بيد أنه تجلد وأخفى ما جاش فى صدره ... ولم يزل يتقلب على جمرات متقدة من اللوعة والأسى حتى اخترمه الموت أخيراً ، فأراحه من همه وغمه ، وأراحه من وصبه وألمه .

وفى الليلة التى فاضت فيها روحه ، نفث جميع أحزانه فى كلمات وجيزة خاطب بها زوجه ... قال لها وهو يتألم ولكن لا يدرى أنه سينام فلا يستيقظ : نفسى حزينة حتى الموت ..!

والشئ الذى حز فى قلبي وأرمض نفسى يا سيدى ، هو أن يمضى والدى فلا يلتفت إليه أحد ممن نهل من مناهل أدبه ، ولا يكترث بموته مخلوق من الذين كانوا يطرونه ويمتدحونه ويثنون عليه ويشيدون بعلمه وبفضله أثناء حياته ... وكأنه إنسان عادى ما خدم العلم والأدب وما هذب النشء وما وضع المؤلفات وما أنشأ الفصول والقصص والمقالات ..! هذا الجحود يا سيدى أمضنى كثيراً وهذا النكران للجميل هطلت له دموعى .

أرجو أن تتكرم على أو على الأستاذ خليل بيدس — الذى لم يجد بعد موته من يكتب عنه سوى ابنه — بنشر السنمة المرفقة مع هذا الكتاب فى الرسالة الغراء . وتفضل بقبول جزيل احترامى وتقديرى .

أميل خليل بيدس

(الرسالة) ستنشر الكلمة فى العدد التالى ، ورحم الله الأستاذ خليل بيدس وجزاه خيراً على ما قدم للعربية ، وعوضه برضاه عنه من جحود الناس لفضله .

تصويب :

حدث سقط مطبعى فى فقرة من موضوع « عراك فكرى بندوة الرسالة » فى العدد الماضى ؛ إذ جاءت الفقرة هكذا : « وأنا لا أرى أن هناك إنسان متقدم وإنسان متأخر » والصواب : « وأنا لا أرى أن هناك شرقياً وغربياً ، وإنما هناك إنسان متقدم وإنسان متأخر » .

عباس خضر



أسطورة الديك الذهبي (*)

لألكسندر بوشكين

كان يجلس على عرش مملكة قوية ، لن أذكر اسمها ، قيصر اسمه دادون ، لا شبيه له في الرجال . ولما كان دادون شجاع القلب ، فإنه لم يترك واحداً من جيرانه دون أن يشن عليه الحرب . أما وقد كبر الآن فقد رأى أن يتيح لجسمه الهرم شيئاً من الدعة والاطمئنان . غير أن الأعداء انتهزوا الفرصة ، فهاجموا المملكة من دون رحمة ، ونهبوا الديار ، وطحنوا جيش دادون طحناً . أما جنوب المملكة فقد كان محصناً ، والشرق هو الجهة التي كان يأتي منها العدو .

وفي ذات يوم نزلت بالشواطئ كتيبة عاصفة ، فاضطرب القيصر أيما اضطراب ، وهجر النوم جفنيه . خيل إليه أن حياته لم تكن في يوم ما أمر منها الآن ، فلم ير إلا أن يطلب العون من منجم الدولة ، ذلك الخصي الشيخ المتقلي حكمة ومعرفة . . لبى الخصي النداء ، وجاء البلاط يحمل في حقيبته ديكاً ذهبياً ، وقال : ليأمر مولاي بنصب هذا الديك على عمود من الخشب ، فيحرس المملكة . فإنه إذا لم يكن ثمت خطر ظل هادئاً مطمئناً ، فإذا لاح الخطر في الأفق انتفض من سكونه ، وانتفخ عرفه الأحمر ، وصاح صيحة تنبه القوم ، وأشار إلى الجهة التي يأتي منها العدو » .

فرح القيصر لهذا الحل السعيد ، وقال : سأعطيك في مقابل هذا ما تريد . ستكون رغبتك رغبة القيصر أين شئت ومتى أردت » .

وجثم الديك في مكانه يسهر على المملكة ، بينما أوى القيصر الهرم إلى فراشه ينعم بالنوم الهنيء ، ولا يلقي بالاً إلى حوادث الزمن . ولم يعد الخطر يدهم الناس ، ولم تعد نخاخ العدو تهدد القيصر العجوز .. دادون ! ...

فلما مر عامان كاملان ، إذا بأصوات تزلزل الأفق وتطرد النوم الهنيء عن عيون الناس . وأقبل قائد الجيش صائحاً : قيصري وسيدي ، انهض فالمملكة في حاجة إلى ابنيك الباسلين ! تأوه القيصر ثم قال : ما الخبر ؟ فأجاب قائد الجيش : الديك صاح .. والناس في رعب شديد . وتلفت القيصر حواليه ، وأرهف السمع ، فإذا صيحات من الشرق ، وإذا الديك قائم منتفض يصيح : كوكو .. روكو ! .. كوكو .. روكو ! فالتفت القيصر إلى القائد صارخاً : أعدوا الجياد .. أعدوا السلاح ... انطلقوا سريعاً إلى الحدود ! . وإلى الشرق طار الجيش الكثيف يقوده الابن الأكبر لدادون .. حينئذ هدأت ثورة الديك ، وكف عن الصياح ! .

مضت أيام ثمانية ولم يأت عن الجيش خبر : أقاتل ، أم فر ؟ صه صه ..! لقد صاح الديك من جديد — فليذهب الجيش الثاني إلى الشرق وعلى رأسه الابن الثاني لدادون . نعم ، وفي هذه المرة أيضاً مرت أيام ثمانية ولم يأت الخبر ! فلما صاح الديك للمرة الثالثة ، هب دادون العجوز ، وقاد سائر الجند بنفسه ، ومضى إلى الشرق وهو يطمئن الناس ، وإن لم يكن هو في دخيلة نفسه يطمئن ...

ساروا الليل والنهار حتى أدركهم التعب وهمدت قواهم . هذا والقيصر في عجب ودهشة : لا دليل على معركة ... ولا أثر لساحة ... ولا معسكر ... ولا رجمة يثوي تحتها بطل ...

في نهاية اليوم الثامن ، صعد القيصر في شعاب تل ، وصعد خلفه الجنود — فماذا رأوا ؟ !

بين قنتين من الصخر رأوا خيمة من الحرير قائمة ! كان صمت عجيب يسيطر على المكان .. وفي مجرى ضيق بسفح الجبل ، وجد القيصر أبطاله الذين أرسلهم مذبوحين ... وأمام باب الخيمة وجد ابنيه الأكبر والأصغر ، كلا ملقى بلا درع ، وقد أغمد سيفه في جنب أخيه . كان الكلأ مصبوغاً بالدم ، والجياد تمرح في الوديان

(*) على هذه الأسطورة أنشأ رمسكي كورساكوف بابا من احدى أوبراته وهي « الديك الذهبي »

والقيصر المسكين يولول في جنون: آه يا ابنيَّ! كلا النسرين صاده الصياد.. وا ضيعتي، وا ضيعتي!!» وناحت الجنود انواحه، وردَّدت الآفاق الصدى، فكأنما شارك الجماد في الحزن والأنين...

وعلى حين فجأة انشق ستار الخيمة عن ملكة شاماخان تلمع لمعان الشروق، أومأت إلى القيصر بحبيبة، فلاح دادون وكأنه طير من طيور الليل في سناها الخاطف، سمرت عيناه في جمالها، وطار من رأسه كل حزن وأسى على ابنيه اللذين لقيا الهلاك. وتبسمت هي لدادون، ثم انحنت قليلا، فأمسكت بيده وقادته إلى داخل خدرها، وقدمت إليه طعاماً ملكياً فاخراً، فلما تناول منه، قادته إلى أريكة موشاة بالذهب، مسترة بالدمقس.

سبعة أيام وسبع ليال، والقيصر «دادون» ينهل من السرور، ويطيع الملكة طاعة عمياء. ثم حان الرحيل، فتأهبت الجنود، وهيئوا الركاب، وسار الجميع في طريقهم إلى عاصمة المملكة..

كان الناس قد بلغهم الخبر، فإذا جموع هائلة بأبواب المدينة، وإذا هتاف عال يستقبل الموكب: عاش دادون! عاشت الملكة! عاش دادون! عاشت الملكة!

ولكن من هذا الرجل الأبيض الرأس واللحية الذي يشق الجموع ليلحق بعربة القيصر؟ إنه الخصي الحكيم!

أقبل على القيصر يقول: تحيتي يا مولاي! فقال القيصر: ماذا تريد؟ قال: حساب بيننا يا سيدي... لقد أقسمت أن تجيب رغبتي... إني أريد هذه الفتاة... ملكة شاماخان!

فصرخ الملك دهشاً: إنك تهذي... ما نفع فتاة لخصي؟ اطلب شيئاً آخر فأقدمه إليك... اطلب خير ما في حظيرتي من جياد، أو مرتبة من مراتب الحكم، أو إن شئت فاطلب ذهباً... حتى نصف ما في المملكة!

قال الساحر: لا شيء مما يوهب يستحق أن يرغب فيه... إني لا أطلب غير ملكة شاماخان!

جن القيصر من الغضب وصاح: لقد أخطأت في تقدير عندك أيها العبد... لم يكن جديراً بي أن أتركك تتحدث!

وبصولجانه قرع دادون هامة الخصي قرعة شديدة، فسقط الرجل على الأرض ميتا!

وحينئذ اهتزت المدينة اهتزازاً شديداً ارتعب له قلب دادون! ولكن الفتاة علا ضحكها في تلك الساعة... فما كان منه إلا أن تكلف الابتسام، وأمر بمواصلة السير...

وعلى حين فجأة سُمع صوت ضئيل، وإذا بالديك الذهبي يطير إلى العربة الملكية، وإذا به يستقر على هامة القيصر، فنفض ريشه أولا، ثم نقر دادون في وسط هامته، ثم حلق في الجو عائداً إلى السماء...

ونزل القيصر من العربة، فإذا به يسقط على الأرض بدوره، وإذا به يئن أنة واحدة... ثم يسلم الروح!

أما الملكة، فإن أحداً لم يرها بعد، وكأنها لم تكن هناك!!

إن الأساطير وإن بعدت عن الحقائق قد يستفيد منها اللبيب عظة أو اثنتين..

يوسف جبرا

مطبعة الرسالة